THE BOOK WAS DRENCHED

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190438

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—43—30-1-71—5,000

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٨٩١٫٥٤٤ ع Accession No. ١١٠١

Author ابو الحسن علي الحسني الندوي

Title مختارات من ادب العرب (قسم النثر)

This book should be returned on or before the date last marked below.

سلسلة مطبوعات ندوة العلماء (٤٩)

مختارات

من أدب العرب

قسم النثر

اختارها وعلق عليها

أبو الحسن علي الحسني الندوي

أستاذ تاريخ الآداب باللغة العربية بدار العلوم

لندوة العلماء

بلكنؤ الهند

مختارات

من

أدب العرب

قسم النثر

مجموعة تمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع مظاهره ومناحيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول الى القرن الرابع عشر الهجري

اختيار و تعليق

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

استاذ تاريخ آداب اللغة العربية في دار العلوم الناهضة لندوة العلماء لكنهؤ (الهند)

المطبعة النظامية لكهنؤ (الهند) تحت اشراف صاحب المطبعة محمد رحماد

رمضان سنة ١٣٦١ هـ

كلمة الجامع

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على سيدنا و مولانا محمد و اله وصحبه اجمعين و من تبعهم باحسانٍ الى يوم الدين ،

امّا بعد فقد انتهت بنا معالجة التعليم والتربية ، والاتصال بطبقات الامة الاسلامية و رجالها فى البلاد الاعجمية - كالهند - خاصّة و دراسة نفسيات الشباب وعقولهم ، و مايدور منهم بين حين و الخر من ارآء غريبة و نظميات شاذة فى الدين والاخلاق والاجتماع الى ان للُّغة و ماتحويه من ادب و ثقافة دينية اثرًا بليغًا فى فى العقلية و منهج التفكير و ان للدين لغة كما للشعب لغة وان الدين

ثقافة بحفظها لغته و من جعل هذه اللغة لم يتشبّع بروح الدين ولم يرو معينه ولم يستق من منابعه الصافيه

واللغة العربية ، مفتاح كنوز الكتاب والسنة ، وباب تلك المكتبة العامرة الزاخرة التي تحتوي على النفس ما انتجته القرائح البشريه وابدعته العقول السليمة . وفاضت به خواطر وسالت به محابر من ادب وشعر وتاريخ وفن وحكمة في ساحة زمانية واسعة كمساحة التاريخ الاسلامي و في مساحة مكانية شاسعة كمساحة العالم الاسلامي ،

سعى للغة العربية في الهند جهد ناهر و سوق نافقه فنبغ فيها بعض كبار المولفين في العربية واللغويين و الشعراء كالامام الصغاني اللاهوري (م ٦٥٠ هـ) صاحب العباب الزاخر ومجمع البحرين وكتاب الاضداد في اللغه و مشارق الانوار في الحديث(١) والقاضي عبد المقتدر الدهلوي (م ٧٩١ هـ) صاحب القصيدة اللامية والشيخ احمد التهانيسري (م ٩٢٠ هـ) صاحب الدالية والعلامة محمود الجونبوري (م ١٠٦٢ هـ) صاحب الفرائد في علوم البلاغة وشيخ الاسلام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (م ١١٧٦ هـ) صاحب حجة الله البالغة واطيب النغم والشاعر المورخ السيد غلام علي آزاد البلكرامي (م ١١٩٣ هـ) صاحب السبع السيار

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية مطبوعة هذا وكشف الظنون للبغدادي وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان

وسبحة المرجان واللغوى الشهير السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى م ١٢٠٥ هـ) صاحب تاج العروس وتكملة[1] القاموس

ثم اضمحلت هذه اللغة وادبها فى العهد الاخير على ملك النيجليز والانكليز لاسباب ترجع الى التاريخ ومنهاج الدراسة فى هذه الديار و اعتل الذوق الادبى، بتجلى هذا فيما قالوا من شعر و فيما انفوا من كتب بالعربيه وما انشاؤا من رسائل، وما علقوا من شروح و حواش، وما اختاروا من كتب للدرس وقلما تجد شيئا تعتربه عن العربيه و بسيغه الذوق السليم

ولعلك تعذر القوم او تساعهم فى عيهم و اعذار ذوقهم اذا عرفت ان قصارى نظرهم و مادتهم الوحيدة فى اللغة هى السبع المعلقات و ديوان الحماسة والمتنبى فى الشعر و نفحة اليمن والمقامات للحريرى فى النثر، ولما كان قط الشعر عندهم او فرمن النثر و امثله اجمل من امثلة النثر كانوا اسعد و اكثر توفيقا فى الشعر منهم فى النثر و لولا انصالهم بالقرآن و دراستهم لكتب الحديث، لكانوا اعجز بيانا و افسد ذوقا

من المعلوم ان الذى يبعث ملكه اللغة و التعبير و يساعد على الكتابة و الخطابة هو النثر لا الشعر فالشعر دائما مفيد مقول والنثر عندنا ايضا اشبه بالشعر منه بالنثر له قواف و بحور، و صناعه و تكلف، فاصبح الادب عندنا ايضا كالعلوم النظريه

(١) انظر تراجمهم فى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمواظر للعلامة السيد عبد الحى الحسنى مدير دائرة المعارف سابقا

تدرس و لاتستعمل،

ثم إن اللغة ليست ادبا و شعرا و استعارة و تشبيها فقط كما ترى فى المقامات و الكتب الادبية الاخرى بل هى لغة بيت واسرة ايضًا وحديث صديق لصديق و رجل لاهله جدّ و هزل، و تعبير عن وجدان و عاطفه وحب و مقت و احوال نفسية كثيرة كما نقرأ فى كتب الجاحظ و ابى الفرج الاصبهانى وغيرهما

و من العجيب انّه لم يكن يدرس قبل نفحة اليمن كتاب ابتدائى فى النثر و ليس بين النفحة والمقامات حلقة تصل بينهما و بين الكتابين مسافة بعيدة لايبلغها خطوة الطالب

و بقطع النظر عن هذه النقائص الفنية والادبية فان تدريس نفحة اليمن الاحداث موضع نقد شديد من الوجهة الخلقية ولا حكاياتها ونوادرها لاتترك فى ذهن الناشئه اثرًا صالحًا وكذلك كتاب المقامات لايحسن تصوير المجتمع الاسلامى و لايمثل المدنية الاسلامية او بلفظ اصح مدنية المسلمين تمثيلا جميلا بل يتحكى من ذلك بصور ذلك التدهور الخلقى و تلك الفوضى الاجتماعية التى اصلى بها العالم الاسلامى فى اواسط العصر العباسى وفيها من الحكايات والنكت ماليس لها وجه الادب ويتنزّه لها جبين الحياء

ادرك هذه الحقائق علماء الندوة و القائمون على ادارة دار العلوم

التابعة لها وشعروا بنقائص منهاج الدرس القديم وتحرروا من قيود التقليد فى نظام التعليم، واحدثوا بدعا فى منهاج الدرس واختيار الكتب ، فرجحوا كفة النثر وقرروا كتبا ادبية كانت جديدة فى الهند ثم شعروا بحاجة الى وضع مجموعة تحتوى على مختارات للكتّاب و الشعراء تكون مادة لغوية ومنبعا فياضًا للخيال والتعبير و الكتابة وتمثل مع ذلك الثقافة الاسلامية العربية ، فالناحية الثقافية اوالخلقية ناحية مهمة فى حياة المسلمين، واذا لم يعت ادبنا بهذا الغرض فهو ادب ناقص عقيم و لايستحق ان يسمّى ادبًا اسلاميا ولاخير لنا فيه

عهد حضرة الفاضل الدكتور السيد عبدالعلى الحسنى مدير ندوة العلماء بهذه المهمة الى هذا العاجز فانتقيت مختارات منثورة و منظومة من مصادر الادب العربى و مظانه وجعلت الكتاب فى جزائين جزء النثر وجزء النظم واجتهدت ان يكون هذا الكتاب مرآة لمحاسن العربية وجمالها، مجموع صور رائقة للحضارة الاسلامية العربية فى عصورها الزاهرة، شاهدا بسعة اللغة العربية وثروتها و مرونتها وتنوّعها و مجاراتها للعصر الجديد واغراضه المتنوعة، وما غفلت وبيد الله التوفيق ان ادخل من ابواب الفكر التى تفتحت لدروس اللغة والادب افكارا وتأثيرات دينيّة وخلقية، عسى ان يكون لها اثر فى النشأة و تكوين السيرة،

وقد جمع الكتاب بين الوان الادب العربي المختلفة و بدائعه من وحي رواوى و بلاغة نبوية وخطب لاشهر خطباء العرب فى ازهر عصور العربية و روايات و قصص و رسائل وكتب و مناقشات ومحاورات ورحلات واحاديث منزلية منبسطة وجد وهزل وحكمة و لهو.

وقد عُنِيتُ فى جمع هذا الكتاب وتاليفه ببعض روايات طويلة ماخوذة من كتب الحديث الصحيح قد تحدث فيها الراوى العربي بما شاهد وماجرى له و قد ارسل النفس على سجيتها و افضى بذات صدره ومعلوماته باساليب طبيعى ممتع وتصوير صادق للاحوال النفسية و تعبير رقيق عن وجدان و عاطفه وكلام غير مصنوع وهى امثلة جميلة للادب العربي طالما اغفلها الادباء المولفون ولم يعيروها ماتستحق من النظر والعناية

والكتاب يمثل الادب العربي فى اكثر ادواره من العصر الاسلامى الاول الى العصر الحديث، ولكن على كل لم الكتاب كتاب تاريخ فلم التزم فيه التزام المورخ ولم اخذ على نفسى ان اعرض لكل طبقة او لكل كاتب مثالاً لكتابه و يرى القارى قبل النثر الحديث فراغاً طويلا، و ذلك لانى لا اجد احدًا فى هذه الفترة من يصلح ان يكون انموذجًا صالحًا ولا اجد مبدعًا صاحب اسلوب خاص، و انما هو قلم الحريري او القاضى الفاضل يكتب به الكتاب، ولم يتكسر هذا القالب، كما يقول الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب تاريخ الادب العربي، الا فى اخر صفحة من صفحات حديث عيسى بن هشام ممن كتب به بعد ذلك

كتب به مفعولا

و ارى ان النثر الحديث للكتاب البارزين الراسخين في العربية في مصر والشام ليس باقل روعة وجمالا واتساقا و انجابا من النثر العربي القديم في العصر الاموى والعباسى، خلافاً للشعر العصرى فليس في درجة النثر لاسباب سياسيه و اجتماعية وعلمية كثيرة دعت الى تقدم النثر ونضجه ،

وقد ترجمت لاصحاب القطع المختارة و بينت خصائصهم الكتابيه وطبقتهم واشرت الى النواحى الادبية المهمة و استلفت اليها نظر المعلم ليكون منها على بال وليتنبه الطلبة عليها ويجيئ اذهانهم لتاريخ الادب العربي الذى سيدرسونه ،

اشكر حضرات السادة الاستاذ الشيخ محمد خليل عطا مدرس الحديث الشريف في دار العلوم و فضيلة الاستاذ السيد طلحة الحسنى معلم الكلية الشرقية في لاهور و قد رأيت منهما توافقا في الاذواق و تواردا في الافكار غريبا و الاستاذ عبد السلام الندوى القدائى استاذ التاريخ والسياسة و اخص بالشكر الاستاذ محمد ناظم الندوى استاذ آداب اللغة العربية فلولا مساعدته الغالية و ارائه السديدة لكان هذا الكتاب ناقصا جدا و اوجه كلمة شكر و اعتراف الى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر مولانا السيد سليمان الندوى مدير دار العلوم والاستاذ محمد عمران خان الندوى الازهرى عميد دار العلوم لما انا حالى

من الفرض وما بذلا لى من المعونه

والله المسئول ان ينفع طلبة اللغة العربية بهذا الكتاب ويحبب اليهم هذه اللغة الكريمة ويحثهم على الزيادة منها والتقدم فيها ويساعدهم فى فهم الكتاب والسنة فهو اكبر مطلوب وبالله التوفيق

على الحسنى الندوى
لكهنؤ
غرة ربيع الثانى ١٣٥٩هـ

فهرس المحتويات

الرقم	القطع	اصحاب القطع	رقم الصفحة
١	عباد الرحمن	القرآن الكريم	١
٢	موسى عليه السلام	ايضًا	٢
٣	الشبات	ايضًا	٥
٤	جوامع الكلم	سيدنا مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم	٧
٥	الخطابة المحمدية ﷺ	ايضا	٨
٦	على وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم	ابوبكر الصديق رضه	١٠
٧	شقاوة الملوك	ايضًا	١٢
٨	خطة عمر رضه في الحكم	عمر بن الخطاب رضه	١٣
٩	منشور القضاء	ايضًا	١٥
١٠	عتاب وسكوى	عثمان بن عفان رضه	١٦
١١	الاصحاب الحاضرون	علي بن ابي طالب رضه	١٧
١٢	الاخوان الذاهبون	ايضًا	١٩
١٣	كيف هاجر النبي صلى الله عليه وسلم	عائشة رضي الله عنها	٢٠
١٤	صلح الحديبية	مسور بن مخرمة ومروان	٢٨
١٥	ابتلاء كعب رضه بن مالك	كعب بن مالك	٣٧
١٦	حديث الافك	عائشة رضي الله عنها	٤٤
١٧	صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم	عن اصحابه	٥٢
١٨	صفة عمر بن الخطاب رضه	عن بعض الصحابة والتابعين	٥٦
١٩	صفة علي رضه بن ابي طالب	ضرار بن ضمرة	٥٨
٢٠	عمر وام البنين	اسلم مولى عمر	٦٠
٢١	مقتل عمر بن الخطاب	عمرو بن ميمون الاودي	٦٣
٢٢	كيف كان معاوية يقضي يومه	المسعودي	٦٩
٢٣	خطبة	زياد بن ابيه	٧٢
٢٤	خطبة	الحجاج بن يوسف الثقفي	٧٥

ه ندوضع خطوط الارقام في اصل الكتاب فليصحح

الرقم	القطع	اصحاب القطع	رقم الصفحة
٢٥	خطبة	طارق بن زياد	٧٧
٢٦	خطبة	عمر بن عبد العزيز	٣٩
٢٧	وصية لكتاب	عبد الحميد بن يحيى	٨٠
٢٨	وصف صديق	ابن المقفع	٨٢
٢٩	اخوان الصفاء	ايضا	٨٣
٣٠	البعثة المحمدية	ابو الريحان محمد بن البيرونى	٨٨
٣١	رحلة	الامام الشافعى	٩٣
٣٢	رسالة استعطاف	السيدة زبيدة	١٠١
٣٣	جواب المواساة	المامون ابن الرشيد	١٠٢
٣٤	بخيل حكيم	الجاحظ	١٠٣
٣٥	رسالة استعطاف	ايضا	١٠٩
٣٦	القس الاحمر	ابن عبد ربه	١١٠
٣٧	الطبيب لطمار واشعرت	ابو الفرج الاصبهانى	١١٤
٣٨	عبد الله بن جعفر وطوس	ايضا	١١٧
٣٩	كتاب ينوب عن كتائب	ابن العميد	١٢٠
٤٠	البحر	الصاحب بن عباد	٥٣
٤١	رسالة عتاب	ابو بكر الخوارزمى	١٢٥
٤٢	المقامة المضرية	بديع الزمان الهمدانى	٣٦
٤٣	المقامة الزبيدية	الحريرى	١٣٦
٤٤	عتاب وتانيب	القاضى الفاضل	١٤٧
٤٥	آراء فى التدبير	ابن خلدون	١٤٩
٤٦	المدنية الحسية عند بثة الرسول ص	الشيخ ولى الله الدهلوى	١٥٧
٤٧	الوحدة والسيادة	الشيخ محمد عبده	١٦٠
٤٨	المدنية الغربية	مصطفى لطفى المنفلوطى	١٦٤
٤٩	وحى الهجرة	مصطفى صادق الرافعى	١٦٩
٥٠	نجبة الاندلس	محمد كرد على	١٧٦
٥١	سيدى احمد الشريف السنوسى	الامير شكيب ارسلان	١٨٠
٥٢	المرضع	الدكتور طه حسين	١٨٩
٥٣	اختلاف اقطار المسلمين فى الاسلام والتمدن	احمد امين	١٩٦

٢٥ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ

تَبٰرَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجًا وَّجَعَلَ فِيهَا سِرٰجًا
وَّقَمَرًا مُّنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (١) لِّمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَّذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (٢) وَّإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُونَ قَالُوا سَلٰمًا ۝
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَّقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا (٣)
وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا (٤) ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ
ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٥) ۝ يُضٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ

---

(١) اى هذا خلفا من هذا يتبع كل منهما الاخر (٢) اى بسكينة وتواضع
(٣) لم يضيّقوا (٤) وسطا (٥) عذابا وعقوبة

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ○ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ○ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ○ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ○ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ○ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ
الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ○ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ○ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ○[1]

(سورة الفرقان)

٢- مُوسَىٰ عليه الصلوٰة والسلام

طسٓمٓ ○ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ○ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ○ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ○ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ○ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ
نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ○ وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ[2] وَلَا تَخَافِي

---

(١) ملازماً (٢) البحر

وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ○ فَالْتَقَطَهُ آلُ
فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ ○ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ○ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى
فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا (١) لِتَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ○ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (٣) فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ (٤) وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ○ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى
أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ○ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ○ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ (٥) وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ○ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا
رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ
عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ (٦) مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ
مُضِلٌّ مُبِينٌ ○ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ○ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ○
فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ

---

(١) اى خاليا من كل شئ سوى موسى (كما روى عن ابن عباس) او فارغا من الحزن (٢) بربط الله على قلبه فواه وصبره (٣) باطنة الجاسوس قوة القلب (٣) اتبعى اثره (٤) بجوة عنه اختلاسا (٥) يقال بلغ فلان اشده اى قوته وفى القرآن حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والأَشُدُّ بفتح الهمزة وضم الشين (كما فى القرآن) والأَشُدُّ بضمهما القوة وهو جمع لا واحد له او واحد بناء على بناء الجميع (٦) الوكز الطعن والدفع والضرب بجميع الكف (م ر ر)

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّآ أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ
عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ
إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَآءَ
رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ (٢) بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ
رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ
رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً
مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (٣) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا (٤)
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَآءُ (٥) وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى
الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي
عَلَى اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۝
قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝
قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ
حِجَجٍ (٦) فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝

(سورة القصص)

---

(١) الملأ جماعة يجتمعون على رأى فيملئون العيون رواءً ومنظرًا والنفوس بهاءً ورجلالة (مر)

(٢) يقال للتناوش ائتمار لقبول بعضهم امر بعض فيما اشار به (مر)

(٣) اى تمنعان غنمهما من الماء (٤) ما شأنكما (٥) الرعاء جمع راع (٦) سنين جمع حجة

٣ الثبات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (١) وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ
يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ
إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ (٢) ۛ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا
بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ
مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي
يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝

---

(١) الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية عن شدة الخوف

(٢) غير حصينة نخشى عليها

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ
أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ
عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ
ذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا
اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ
تَسْلِيمًا ۝ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝

(سورة الاحزاب)

---

(١) تنحل سحرص (٢) الساق بسط يعبر اما باليد او باللسان (٣) يقال للقيم بالبا ديته باد
(٤) النحب النذر والمحكوم بوجوبه يقال قضى فلان نحبه اى وفى نذره ويعبر بذلك عمن مات
كقولهم قضى اجله واستوفى اكله وقضى من الدنيا حاجته (م - ر) (٥) حصونهم جمع حصيصة وهو ما يحتمى به

جوامع الكلم نبينا وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله، واوثقُ العُرى(٢) كلمة التقوى وخير الملل ملّة ابراهيم، وخير السّنن سنة محمّدٌ واشرف الحديث ذكر الله، واحسن القصص هذا القرآن، وخير الامور عوازمها(٣) وشر الامور محدثاتها، واحسن الهدى هدى الانبياء، واشرف الموت قتل الشهداء، واعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الاعمال مانفع، وخير الهُدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر النّدامة يوم القيامة ومن النّاس من لا ياتي الجمعة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا(٤) ومن اعظم الخطاء اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النّفس، وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عزّ وجل وخير ما وقرَ(٥) في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل

---

(١) سيد نا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم افصح العالمين لسانا وابلغهم بيانا اجتمع له من صفات البليغ وخلال البيان من سليقة وبيئة وخلق وذوق وصفاء حس وتمكن لسان وميراث ادب وموهبة حكمة ما لم يجتمع لاحد قبله ولا يجتمع لاحد بعده، نزد على ذلك ان لسانه جرى الوحي فكان مرتفعا بعد السّيل وحدّث عن خضرته ونباته، كان مطاع اللفظ مشتقت اللسان فياض الخاطر جميل المذهب، سهل اللفظ اما ما تعهدًا صاحب معجزات وآيات في اللسان العربي

(٢) العرى جمع عروة وهي من الابريق ونحوه مقبضه والعروة ما يوثق به وما يعول عليه

(٣) امر عازم اى معزوم عليه (٤) الهجر بالفتح ترك ما يلزمك تعهده وبالضم الكلام القبيح (٥) وقر ثبت

الجاهلية، والغلول[1] من حر جهنم والسكركي من النار، والشعر من ابليس والخمر جماع الاثم، وشر المآكل مآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن امه وملاك[2] العمل خواتمه وشر الروايا رويا الكذب، وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل[3] على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر له، ومن يتعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن تتبع السمعة يسمعه الله، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله ثم استغفر ثلثا[4]"

٥- الخطابة المعجزة

عن أبي سعيد الخدري قال لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطى من تلك العطايا الكبار في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شئ وجد هذا الحي من الانصار في انفسهم حتى كثرت فيهم القالة[5] حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) الغلول اصله السرقة من مال الغنيمة (٢) ملاك الامر بفتح الميم وكسرها قوام الامر الذي يملك به (٣) يتأل حلف (٤) زاد المعاد في هدى خير العباد للامام ابن القيم (٥) القالة القول الفاشي في الناس خيرا كان او شرا

إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتى سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :-

ترجمة

يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الأنصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم علي يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا

---

(١) الفيء الغنيمة (٢) الحظيرة الموضع الذي يحاط عليه لتأوي اليه الماشية تقيها البرد والريح (٣) الموجدة والجدة السخط والغضب (٤) العالة جمع عائل الفقير (٥) اللعاعة نبت ناعم في اول ما يبدو منه اما الدنيا لعاعة اي انها كالنبات الاخضر لا بقاء لها .

وركلتكم الى اسلامكم الا رضون يامعشر الانصار ان يذهب الناس بالثناء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لما تنقلبون به خيرمما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الانصار شعبا وواديا لسلكت شعب الانصار وواديها الانصار شعار والناس دثار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا

على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل ابوبكر الصديق رضى الله عنه على النبى عليه الصلوة والسلام وهو مسجى بثوب فكشف عنه الثوب وقال

بابى انت وامى طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء من النبوة تعظيما على الصفه وجللت عن البكاء

---

(١) الشعب بالكسر الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن ارض وما انفرج بين الجبلين

(٢) الشعار بالفتح والكسر ما يحت الدثار من الثياب وهو ما يلى شعر الجسد وهو كناية عن البطانة من الناس والخاصة (٣) الدثار بالكسر الثوب الذى فوق الشعار

(٤) خضل واخضل التربل بله (٥) زاد المعاد (٦) هو امير المومنين ابوبكر الصديق رضى الله عنه ابن ابى قحافة اسلم وتانى اثنين اذهما فى الغار ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله ابو فصيل وباسمى وهو كافل المسلمين البيضاء بعد وفاة الرسول صلعم توفى سنة ١٣ هـ وكلامه من خطب ورسائل ووصايا مرآة لسيرته وخلقه صدق مع عزيمه ورفق فى غير ضعف

(٧) سجى الميت مد عليه ثوبا .

وخصصت حتى صرت مسلاة[1]، وعممت حتى صرنا فيك سواء[2]، ولولا ان موتك كان اختيارا منك[3] لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا انك نهيت عن البكاء، لانفدنا عليك ماء الشئون[4]، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا، فكمد وادنان[5] يتخالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خامت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم ابلغ نبيك عنا، واحفظه فينا"

ثم خرج الى الناس وهم فى شديد غمرتهم وعظيم سكراتهم فخطب خطبة قال فيها :-

" اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله، واشهد ان الكتاب كما نزل، وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث، وان القول كما قال، وان الله هو الحق المبين .

---

(١) السلاة الموضع الذى تكثر فيه التسلية وما يبعث على السلو والمعنى انك يارسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس، فانك ما اختصصت به من مناقب السمو قد نزل بك الموت، فللصابر فيك اسوة حسنة .

(٢) اى عممت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وانت بنك سواء فى الحزن عليك والتفجع لفقدك (٣) يشير الى قوله عليه السلام : « لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » قالت عائشة رض فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول : « فى الرفيق الاعلى » فعلمت انه خير، فعلمت انه لا يختارنا أبدا، وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح (٤) جمع شأن، وهو مجرى الدمع الى العين

(٥) دنف المريض كفرح، وادنفه ثقل والشمس : دنت للغروب واصفرت

فى كلام طويل، ثم قال :

ايها الناس، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، و من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت، وان الله قد تقدم اليكم فى امره، فلا تدعوه جزعا، وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه الى ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه، فمن اخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما انكر، يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط[1]، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذى تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم[2]

٩ - شقاوة الملوك

خطب ابو بكر رضى الله عنه فقال

ان اشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رؤسهم فقال : مالكم يا معشر الناس ! انكم لطعانون عجلون، ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما فى يده، ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر اجله، واشرب قلبه الاشفاق، فهو يحسد على القليل، و يتخط[3] الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة، فهو كالدرهم القسى[4] والسراب الخادع، جذل الظاهر

---

(١) القسط - العدل (٢) نهج الاداب، (٣) تخطى عطاءه : استقله ولم يقنع منه برقا
(٤) الزائف

حزين الباطن، فاذا وجبت[1] نفسه، ونضب عمره وضحا ظله[2] حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه، الا ان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من امن بالله، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، و انكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجة، وسترون بعدى ملكاً عضوضاً[3]، وامة شعاعاً[4]، ودما مفاحاً[5]، فان كانت للباطل نزوة[6] ولاهل الحق جولة، يعفو لها الاثر، وتموت السنن، فالزموا المساجد واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الابرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، اى بلاد خرشنة[7] ان الله سيفتح عليكم انتصافها كما فتح ادناها[8]"

١٠ـ خطبة عمر[9] في الحكم

قال طلحة بن معدان، خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: "ايها الناس انه لم يبلغ ذو حق فى حقه ان يطاع فى معصية الله وانى لا اجد

---

(١) مات ووجبت الشمس غابت، والعين غارت (٢) مات ايضا (٣) العضوض: مايعض عليه، ومالت عضوض فيه عسف وظلم (٤) متفرقة (٥) افاحه: اراقه (٦) وثبه (٧) خرشنة: بلد بالروم، والمراد بلاد الروم (٨) البيان والتبيين صبح الاعشى

(٩) امير المومنين عمر رضى الله عنه معجزة من معجزات الرسول عليه الصلوة والسلام و من بدائع العالم فى رجاحة العقل وحصافة الراى وحسن السياسة الى العبقرية والعصامية الى الدين والتقوى والمثل الكامل لحكم العادل والجمع بين الدين والدنيا كان من فتوحه العلم والفقه ومن جنوده الخطابة والبلاغة توفى ستشهداً سنة ٢٣ هـ

هذا المال يصلحه الاخلال ثلاث، ان يؤخذ بالحق ويعطى فى الحق، و يمنع من الباطل، وانما انا ومالكم كولى اليتيم، ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف ولست ادع احدا يظلم احدا ولا يعتدى عليه حتى اضع خده على الارض، واضع قدمى على الخد الاخر حتى يذعن للحق، ولكم علىّ ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذوني بها لكم علىّ ان لا اجتبى شيئا من خراجكم ولا مما افاء الله عليكم الا من وجهه، ولكم علىّ اذا وقع فى يدى ان لا يخرج منى الا فى حقه ولكم علىّ ان ازيد اعطياتكم وارزاقكم ان شاء الله واسد ثغوركم ولكم علىّ ان لا القيكم فى المهالك ولا اجمركم[٢] فى ثغوركم، ولكم على ان لا القيكم فى المهالك ولا اجمركم[٣] فى ثغوركم وقد اقترب منكم زمان فتليل الامناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الامل، يعمل فيه اقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تاكل دين صاحبها كما تاكل النار الحطب الا كل من ادرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر ايها الناس ان الله عظم حقه فوق حق خلقه فقال فيما عظم من حقه ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟ الا وانى لم ابعثكم امراء ولا جبارين ولكن بعثنا ائمة الهدى يهتدى بكم فأدروا[٤] على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تغلقوا الابواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا تستاثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا

---

(١) ينقاد ويغر (٢) حمر القوم على امر جمهم (٣) اجروا

عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم فاذا رايتم بها كلالة[1] فكفوا عن ذلك فان ذلك ابلغ فى جهاد عدوكم، ايها الناس انى اشهدكم على امراء الامصار انى لم ابعثهم الا ليفقهوا الناس فى دينهم ويقسموا عليهم فيئهم ويحكموا بينهم، فان اشكل عليهم شئ رفعوه الىّ.

١٢ - منشور القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك، امّا بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متّبعة، فافهم اذا أُدلِيَ اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آسِ[2] بين الناس فى مجلسك و وجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[3] ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احرم حلالا او احل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، الفهمَ الفهمَ عندما تلجلج[4] فى صدرك مما ليس يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبا او بيّنة

---

(١) كلالة ضعفا (٢) آس سَوِّ (٣) الحيف الجور والظلم (٤) تلجلج فى الصدر

امدا ينتهي اليه ، فان احضر بيّنته اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فانه انفى للشك واجلى للعمى وابلغ فى العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد ، او مجرّبا عليه شهادة زور ، او ظنينا[1] فى ولاء او قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات واياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله به الاجر ويحسن به الذخر ، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلاف ذلك هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك[2]

١٣ - عتاب وشكوى

خطب عثمان[3] بن عفان رضى الله عنه فقال :-

ان لكل شئ آفة ، وان لكل نعمة عاهة[4] وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيّابون ظنّانون ، يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون ، طغام[5] مثل النعام يتبعون اول

---

(١) ظنين متهم (٢) البيان والتبيين (٣) امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ذو النورين وثالث الخلفاء والامام المظلوم وخطبته هذه تمثل موقفه ومقامه فى نأسه ناصر واخلاقهم وتبين صحوه الشيبه بصحبة سيدنا على بن ابى طالب من قومه رضى الله عنه (٤) عاهة مرض و مصيبة (٥) طغام او غاد الناس الواحد والجمع والعامة تقول اوباش

ناعق، احب موارد هم اليهم النازح[1] لقد اقررتم لابن الخطاب باكثر مما نقمتم عليه، ولكنه وقمكم[2] وقمعكم[3] وزجركم زجر النعام المحزمة[4] والله انى لاقرب ناصرا واعز نفرا، واقدم ان قلت هلم، ان تجابوا دعوتى من عمر، هل تفقدون من حقوقكم شيئا؟ فمالى لا افعل فى الحق ما شاء؟ اذا فلم كنت اماما[5]

الاصحاب الحاضرون

تحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره ان عليا[7] رحمه الله انتهى اليه ان خيلا لمعوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبا حتى اتى النخيلة واتبعه الناس فرقى ربوة من الارض

---

(١) النازح البعيد ونزحت البئر قل ماؤها كثيرا او نفد (٢) وقمه الرجل قهره و رده عن حاجته اقبح الرد (٣) قمعه صرفه عما يريد قهره وذلله

(٤) المحزم البعير جعل فى جانب مقدمه الخزام والخزامة وهى حلقة يشد فيها الزمام

(٥) افمن يجدر واحرى (٦) البيان والتبيين، صبح الاعشى

(٧) امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه حكيم الاسلام وخطيبه وفارسه ووارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الادب والبلاغة والعلم بالاخلاق و امامته فى ذلك لم تنازع قط. اخطب المسلمين وامام المنشئين واحد اصحاب الاساليب والمذاهب فى الانشاء واثاره الادبيه من خطب وكتب وحكم ما صح منها - جمال اللغة العربيه وبدائع النثر العربى وموضوع دراسة الاديب والباحث توفى شهيدا سنة ٤٠ هـ

نحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال

امّا بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبةً عنه البسه الله الذل وسيما[1] الخسف[2] ودُيّث[3] بالصَّغار[4] وقد دعوتكم الى حرب هولاء القوم ليلا ونهارًا وسرًّا واعلانًا وقلت لكم اغزوهم من قبل ان يغزوكم فوالذى نفسى بيده ما غُزِى قوم قط فى عُقْر[5] دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظِهريًا حتى شُنّت عليكم الغارات هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسّان بن حسّان ورجالا منهم كثيرًا ونساء والذى نفسى بيده لقد بلغنى انه كان يُدخَل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع اجالهما[6] ورُعثهما[7] ثم انصرفوا موفورين[8] لم يُكلَم رجل منهم كَلْمًا فلو ان امرءًا مسلمًا مات من دون هذا اسفًا ما كان عندى فيه ملومًا بل كان به عندى جديرًا يا عجبًا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تظافر[9] هولاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى اصبحت غرضًا تُرمَون ولا ترمُون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا اوان قُرّ[10] وصرّ[11] وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة

---

(١) سيما العلامة وسيرولى (٢) الخسف النقيصة والذل (٣) دبّثه ذلّله (٤) الصغار الذّل والصير (٥) العقر وسط الدار (٦) المحل الخلخال (٧) الرعث والرعثة القرط جر رعاث وبجمع رعث (٨) سالمين منكفئين (٩) الاجتماع والتعاون (١٠) و(١١) شدة البرد

القيظ[1] انظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال و يا طغام الاحلام و يا عقول ربات الحجال والله لقد افسدتم علىّ رأيى بالعصيان ولقد ملأتم جوفى غيظا حتى قالت قريش ابن ابى طالب رجل شجاع ولكن لا راى له فى الحرب لله دَرُّهم ومن ذا يكون اعلم بها منّى او اشد لها مراسا[2] فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيّفت[3] اليوم على الستين ولكن لا راى لمن لا يطاع يقولها ثالثا[4]

الاخوان الذاهبون

ومن خطبة كرم الله وجهه وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال نهيّئنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فلم ندر أىُّ الامرين ارشد، فصفّق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال :-

هذا جزاء من ترك العقدة، اما والله لو انى حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيرا، فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قوّمتكم وان ابيتم تداركتم، لكانت الوثقى، ولكن بمن

---

(١) الحمارّة شدة الحر والقيظ صميم الصيف (٢) معالجة وتجربة

(٣) نيّفت زاد (٤) (الكامل للمبرد، البيان والتبيين، نهج البلاغة واللفظ للكامل)

والى من ؟ ازيدان اداوى بكم وانتم دائى كناقش[1] الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها، اللهم قد ملّت اطباء هذا الداء الدوى[2] وكلّت النزعة[3] باشطان[4] الركى[5]! اين القوم الذين دُعوا الى الاسلام فقبلوه، و وقرأوا القرآن فاحكموه، وهيجوا الى القتال فولهوا[6] وله اللقاح[7] الى اولادها، وسلبوا السيوف اغمادها، واخذوا باطراف الارض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك، وبعض نجا، لايُبَشَّرُن بالاحياء، ولايعزون بالموتى، مرة[8] العيون من البكاء، خمص[9] البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الالوان من السّهر على وجوههم غبره الخاشعين، اولئك اخوانى الذاهبون! فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدى على فراقهم[10]

كيف هاجر النبى صلى الله عليه وسلم

ان عائشة[11] زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لم اعقل ابوىّ قط الا وهما يدنيان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج ابوبكر مهاجرًا

---

(١) نقش الشوكة من رجله استخرجها (٢) الدوى المرض (٣) نزع الدلو والدلو جذبها واستقى منها (٤) الشطن الحبل (٥) الركية البئر ذات الماء (٦) وله حزن وغم وحرّ (٧) اللقحة المرأة المرضعة (٨) مرهت عين فسدت وابيضت بواطن اجفانه (٩) خميص البطن ضامره (١٠) فج البلاغ (١١) حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت خليفته ابى بكر الصديق رضى الله عنه من اكبر فقهاء الصحابة عاشت خمسا وستين سنة واقامت فى صحبته صلى الله عليه وسلم ثمانية اعوام وخمسة اشهر توفيت فى سنة تسع وخمسين وقيل فى سنة ثمان وخمسين

فحوارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة و هو سيد القارة (٢)
فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض
واعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج و لا يخرج
انك تكسب المعدم (٣) وتصل الرحم وتحمل الكل (٤) وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق فانا لك جارا رجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل
معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم ان
ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدم ويصل الرحم
ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش
بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل
فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا
وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه
في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى (٥)
مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف (٦) عليه نساء
المشركين وابناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر

---

(١) موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن (٢) قبيلة مشهورة من بني الهون
بن خزيمة (٣) اي تكسب غيرك المال المعدوم (٤) الثقل وهو من الكلال
الذي هو الاعياء اي تعين الضعيف المنقطع (٥) ابتنى مسجدا اي بنى لنفسه
(٦) اي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد يتكسر

رجلا بكّاء لا يملك عينيه[1] اذا قرأ القرآن وافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلوة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نُخْفِرَك[2] ولسنا مقرين لابي بكرٍ الاستعلان قالت عائشة رضي الله عنها فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الىّ ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين[3] وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكرٍ قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك[4] فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكرٍ وهل ترجوا ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق

---

(١) اى لا يستطيع امساكهما عن البكاء (٢) الاخفار هو نقض العهد

(٣) اللابة الحرة ارض ذات حجارة سود (٤) اى على مهلك

السمر وهو الخبط[1] اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا[2] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال ابو بكر فداء له ابى وامى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابى انت يا رسول الله قال فانى قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحابة[3] بابى انت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابى انت يا رسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز[4] وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف[5] لقن[6] فيدلج[7] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت[8] فلا يسمع امرا يكتادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر

---

(١) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر (٢) اى على الزبال (٣) اى مخفيا لامره (٤) اى اسرعه (٥) اى حاذق الفطن (٦) اللقن السريع الفهم (٧) ادلج الرجل اذا سار الليل فى اوله وقيل فى كله وادلج بتشديد الدال اذا سار فى آخره (٨) اى كمن بات بمكة يظهر ذلك للكفار

ذلك حين يختلط الظلام فيرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة[1] من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل[2] وهو لبن منحتهما ورضيفهما[3] حتى ينعق[4] بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بنى الدئل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس[5] حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق السواحل قال ابن شهاب واخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن اخى سراقة بن مالك بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى قد رايت انفا

---

(١) شاة تحلب اناء بالغداة واناء بالعشى (٢) الرسل اللبن الطرى (٣) الرضيف والمرضوف ما يثوى على الرضف وهى الحجارة المحماة والمراد هنا اللبن الذى وضعت فيه الحجارة المحماة لينعقد وتزول رخاوته (٤) ينعق بها يصيح بها (٥) يريد انه كان حليفا لهم واخذ نصيب من عهدهم وكانوا اذا حالفوا غمسوا ايمانهم فى دم او خلوق او نحوهما من شئ فيه تلوين فيكون ذلك تأكيد الحلف

اسيدة[1] بالرحل اراها عمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا[2] ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء اكمة[3] فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه[4] الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب[5] بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام[6] فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت[7] يدا فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأاني[8] ولم يسالاني الا ان قال اخف عنا

---

(١) اسودة اشخاصا (٢) اى في ظننا عامدة (٣) الاكمة الرابية المرتفعة من الارض (٤) الزج الحديدة في اسفل الرمح (٥) السعي سير دون العدو (٦) الازلام سهام لا ريش عليها ج الازلام وكان العرب في الجاهلية يستقسمون بها (٧) اى غاصت ودخلت (٨) اى لم ياخذا مني شيئا ولم ينقصاني من مالي

فسالته ان يكتب لى كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة[1] فانقلبوا يومًا بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى[2] رجل من يهود على اطم[3] من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين[4] يزول بهم السراب[5] فلم يملك اليهودى ان قال باعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم[6] الذى تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف[7] وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وقت استواء الشمس (٢) اى غرب وطلع (٣) بضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة (٤) اى لابسين ثيابًا بيضًا (٥) اى يزول السراب عن الظرب بسبب عروض هم له وقيل اى ظهر حركتهم فيه للعين (٦) اى حظكم وصاحب دولتكم (٧) اى بقباء وكان نزوله على كلثوم بن الهدم

فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسّس المسجد الذى أُسّس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مِرْبَدًا للتمر لسهيل و سهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زُرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمِربد ليتخذه مسجدًا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللَّبِنَ فى بنيانه ويقول وهو ينقل

هذا الحمال[1] لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر

ويقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل[2] بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات[3]

---

(١) اى الموضع الذى يجفف فيه التمر (٢) المضروب من الطين مربعًا للبناء

(٣) الحمال والحمل بمعنى اى ليس كحمل خيبر من التمر والشعير وربنا بالنصب منادى

(٤) تمثل اى انشد بيتًا (٥) الجامع الصحيح للبخارى الجزء الاول باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة

١٨- صلح الحديبية

عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية[1] حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ ان خالد بن الوليد[2] بالغميم[3] في خيل لقريش طليعة[4] فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة[5] الجيش فانطلق يركض[6] نذيرا لقريش وسار النبي ﷺ حتى اذا كان بالثنية[7] التي يهبط[8] عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل[9] فالحت[10] فقالوا خلأت[11] القصواء[12] خلأت القصواء فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل[13] ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة[14] يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى

---

(١) الحديبية بتخفيف الياء وقد تشد موضع قرب مكة غربي سميت ببئر هناك او بشجرة حاكمة نزلها في الحرم. وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة وهو المعنى بقوله زمن الحديبية.

(٢) القائد الاسلامي المعروف وكان يومئذ كافرا (٣) الغميم واد بقرب عسفان

(٤) طليعة اي مقدمة الجيش (٥) القترة الغبار الاسود (٦) اي يضرب برجله دابته مسرعا لا حال كونه منذرا لقريش (٧) الجيل الذي عليه الطريق (٨) يُهبَط عليهم اي على اهل مكة (٩) كلمة زجر للناقة (١٠) من الالحاح اي لزمت مكانها (١١) خلأ خلوءا لم يبرح مكانه (١٢) القصواء اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣) اي الله تم والمراد بالفيل ميل ابرهه (١٤) اي خصلة او امرا عظما

نزل بأقصى الحديبية على ثمد[1] قليل الماء يتبرّضه[2] الناس تبرضا فلم يلبثه[3] الناس حتى نزحوه[4] وشكى الى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة وكانوا عيبة[5] نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد[6] مياه الحديبية ومعهم العوذ[7] المطافيل[8] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاءوا ماددتهم[9] مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر[10] فان شاء وا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جمّوا[11] وان هم ابوا فوالذي نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى[12] ولينفذنّ الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا قال

---

(١) حُفرة بها ماء قليل (٢) اى ياخذونه قليلًا قليلًا (٣) اى لم يتركوه يلبث ذلك الماء طويلا (٤) اى لم يبق ماءه شيئا (٥) العيبة ما يوضع فيه الثياب تحفظها اى انهم موضع النصح له والامانة على سره (٦) جمع عد بالكسر والتشديد وهو الماء الذى لا انقطاع له (٧) العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن (٨) المطافيل الامهات التى معها اطفالها (٩) اى جعلت بينى وبينهم مدة تركت الحرب فيها (١٠) اغلب (١١) استاصلوا (١٢) السالفة مقدم العنق وهو كناية عن الرقبة

انا قد جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اى قوم الست بالوالد قالوا بلى قال اولستم بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت[1] اهل عكاظ فلما بلحوا[2] على جئتكم باهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعونى آته قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد ارأيت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح[3] اصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لا ارى وجوها وانى لارى اشوابا[4] من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات[5] انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) اى دعوتهم الى نصركم (٢) اى استعصوا عن الاجابة (٣) استاصل
(٤) الاشواب الاخلاط من انواع شتى (٥) كلمة تقولها العرب عند الذم والشاتم واللات اسم صنم لهم

ومعه السيف وعليه المِغفر[1] فكلما هوى[2] عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبه فقال اى غُدَر[3] السنت اسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قومًا فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق[4] اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة[5] الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[6] واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يُحِدّون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدًا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده

---

(١) قطعة من الدرع يلبسها المحارب تحت القلنسوه (٢) اهوى مال (٣) هو ما يكون اسفل القراب من فضة وغيرها (٤) غدر بضم المعجمة وفتح المهملة معدول من غادر (٥) يلحظ بموخر العين (٦) البصاق الغليظ (٧) بالفتح وهو الماء الذى يتوضأ به

ويعظمون البيت النظر تعظيمه له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
فقال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم
يعظمون البُدُن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما
رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما
رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قُلِّدت[1] وأُشْعِرت[2] فما ارى
ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن
حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب
عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سُهِّل لكم
من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل ابن عمرو فقال
هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله
ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون
والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم

---

(١) التقليد ان يعلق في عنق البدنة نعل او غيره ليعلم انها هدى (٢) الاشعار الطعن في سنام الهدى
بحيث يسيل الدم منه ليكون علامة انه هدى

ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ﷺ ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى ﷺ والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فقال النبى ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة[1] ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[2] فى قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبى ﷺ انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذن لا اصالحك على شئ ابدا فقال النبى ﷺ فَأَجِزْهُ[3] لى فقال ما انا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه لك قال ابو جندل اى معشر المسلمين اردالى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عُذِّب عذابا شديدا

---

(١) اى قهرا (٢) اى يمشى مشيا بطيئا لسبب القيد (٣) اى امض لى فعلى فيه

فى الله قال عمر بن الخطاب فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال
بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن قال انى رسول الله ولست اعصيه
وهو ناصرى قلت اولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى
فاخبرتك انا نأتيه العام ؟ قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على
الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن قال
ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه (٢)
فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به
قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
الزهرى قال عمر فعملت لذلك اعمالا (٣) قال فلما فرغ من قضية الكتاب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال
فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم
احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت ام سلمة يا
نبى الله اتحب ذاك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك
وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه

---

(١) الدنية النقيصة (٢) الغرز هو للابل بمنزلة الركاب للسرج اى صاحبه ولا تخالفه
(٣) اى عملت لذلك التوقف فى الامتثال الذى فرط منى اعمالا صالحة لتكفر عنى

ودعا احالقه فخلقه فلما راوذلك قاموا فخرجوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى يبلغ بعصم(١) الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابى سفين والاخرى صفوان بن امية ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا فى طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا وياكلون من عدتهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا(٢) فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فجاء ابو بصير فقال يا نبى الله قد والله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم انجانى الله منهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر(٣) حرب لو كان له احد(٤) فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف(٥) البحر قال وينفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابى بصير فجعل

---

(١) العصمة ما يعتصم من عقد او سبب (٢) اى خوفا (٣) مسعر حرب مثيرها ومحركها
(٤) اى لو قدر له احد ينصره (٥) بكسر السين اى ساحله

لايخرج من قريش رجل قد اسلم الالحق بابي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير[1] خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل فمن اتاه فهو امن فارسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت وقال عقيل عن الزهري قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن و بلغنا انه لما انزل الله ان يردوا الى المشركين ما انفقوا على من هاجر من ازواجهم وحكم على المسلمين ان لا يمسكوا بعصم الكوافر ان عمر طلق امرأتين قريبة بنت ابي امية وبنت جرول الخزاعي فتزوج قريبة معاوية وتزوج الاخرى ابوجهم فلما ابى الكفار ان يقروا باداء ما انفق المسلمون على ازواجهم انزل وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ والعقب ما يودى المسلمون الى من هاجرت امرأته من الكفار فامران يعطى من ذهب له زوج من المسلمين ما انفق من صداق نساء الكفار اللاتي هاجرن وما نعلم ان احدًا من المهاجرات ارتدت بعد ايمانها وبلغنا ان ابا بصير بن اسيد الثقفي

---

(١) العير القافلة

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا مهاجرا فى المدة فكتب الاخنس بن شريق الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله ابا بصير فذكر الحديث[1]

ابتلاء كعب بن مالك[2]

قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها الا فى غزوة تبوك غير انى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا[3] على الاسلام وما احب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر فى الناس منها، كان من خبرى انى لم اكن قط اقوى ولا ايسر حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزاة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى[4] للمسلمين امرهم ليتاهبوا

---

(١) الجامع الصحيح للبخارى الجزء الاول باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب

(٢) كعب بن مالك الانصارى الخزرجى من بنى سلمة صاحب النبى صلى الله عليه وسلم احد شعراء شهد المشاهد كلها الا بدرا وتبوكا توفى سنة خمسين من الهجرة (٣) تواثقنا اى تواثقنا ايدينا

(٤) جلى كشف واوضح

أهبة[1] غزوهم فاخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول فى نفسى وانا قادر عليه فلم يزل يتمادى[2] بى حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين ثم الحقهم فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل بى حتى اسرعوا وتفارط[3] الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم احزننى انى لا ارى الا رجلا مغموصا[4] عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكا فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه

---

(١) الاهبة العدة والجهاز تاهب اهبته اى اخذ عدته وتجهز (٢) يستمر

(٣) تفارط الشئ تاخر وقته يقال تفارطت الصلاة عن وقتها اذا تاخرت عنه

(٤) رجل مغموص عليه مطعون عليه

برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله ﷺ قال كعب بن مالك فلما بلغنى انه توجه قافلا حضرنى همى وطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رائى من اهلى فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد اظل قادما زاح(١) عنى الباطل وعرفت انى لن اخرج منه ابدا بشئ فيه كذب فاجمعت صدقه(٢) واصبح رسول الله ﷺ قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى انى والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان سأخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى

---

(١) زاح زال (٢) اجمعت صدقة اى عزمت ان اصدق له

من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي
الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما
علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك
ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبوني[1]
حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد
قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت
من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي فذكروا
لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما
لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها[2] الثلثة من
بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في
نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما
صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب
القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلوة مع المسلمين واطوف في
الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه

---

(١) يؤنبوني اي يلومونني بشدة اللوم (٢) ايها الثلثة بالرفع بمعنى الاختصاص اي مختصة من
من بين سائر الناس۔

وهو فى مجلسه بعد الصلوة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على ام لا ثم اصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى اقبل الىّ واذا التفت نحوه اعرض عنى حتى اذا طال علىّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت[1] جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الىّ فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا انا امشى بسوق المدينة اذا نبطى من انباط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله ﷺ يأتينى فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تعتزل امرأتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها

---

(١) تسور الحائط وعليه صعد عليه (٢) سجرته بها احرقته

ولاتقربها وارسل الى صاحبيّ مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي باهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لايقربك قالت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما اذن لامرأة هلال بن امية ان تخدمه فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلوة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلوة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض الى رجل فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما

يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك
قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله
الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله
ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق
وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت
امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر
كنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع[1] من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك
قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله ان الله انما
نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله
ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا احسن مما ابلاني وما تعمدت
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا

---

[1] انخلع اخرج

وانى لارجوان يحفظنى الله فيما بقيت وانزل الله على رسول الله ﷺ لَقَدْ تَابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِيْنَ الى قوله وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ فوالله ما انعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شرما قال لاحد فقال الله تبارك وتعالى سَيَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ لَكُمْ اِذَا انْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ الى قوله فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يَرْضٰى عَنِ الْقَوْمِ الْفٰسِقِيْنَ (١)

حديث الافك

قالت عائشة ؓ كان رسول الله ﷺ اذا اراد سفرا اقرع (٢) بين ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة ؓ فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما انزل الحجاب وكنت احمل فى هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شانى اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار (٣)

---

(١) حديث كعب بن مالك كتاب المغازى صحيح البخارى (٢) اقرع ضرب القرعة
(٣) خرز اليمانى وظفار مدينة باليمن

فدا انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت اركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن[1] ولم يغشهن اللحم انما يأكل العُلقة[2] من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا انا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطّل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فاصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رانى وكان رانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه[3] حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته حتى اتينا الجيش مؤغرين[4] فى نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك وكان الذى تولى كِبْرَ الافك عبد الله بن ابى ابن سلول قال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه[5] وقال عروة ايضا لم يسمّ من اهل

---

(1) لم يثقلن بكثرة اللحم والشحم (2) القليل (3) بقوله إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

(4) اى داخلين (5) اى يخرجه بالبحث

الافك ايضا الاحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش
فى ناس آخرين لاعلم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى وان كبر
ذلك يقال كان عبد الله بن ابى ابن سلول قال عروة كانت عائشة
تكره ان يُسَبَّ عندها احسان وتقول انه الذى قال :-

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قالت عائشة فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا
والناس يفيضون فى قول اصحاب الافك لا اشعر بشئ من ذلك وهو
يريبنى فى وجعى انى لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف
الذى كنت ارى منه حين اشتكى انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى ولا اشعر
بالشر حتى خرجت حين نقهت[1] فخرجت معى ام مسطح قبل المناصع[2]
وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف
قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول فى البرية قبل الغائط وكنا
نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت انا وام مسطح
وهى ابنة ابى رُهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر

---

(١) نقه فلان من مرضه اذا صح منه وفيه ضعف فهو ناقه (٢) المناصع المواضع يتخلى
فيها للبول او قضاء الحاجة والواحد منصع

خالة ابى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب
فاقبلت انا وام مسطح قِبَل بيتى حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح
فى مرطها[1] فقالت تَعِسَ مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا
شهد بدرا فقالت اى هنتاه[2] ولم تسمعى ما قال قالت وقلت ما قال
فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضى فلما
رجعت الى بيتى دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف
تيكم فقلت له اتاذن لى ان آتى ابوىّ قالت واريد ان استيقن الخبر
من قبلهما قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى
يا امتاه ماذا يتحدث الناس قالت يابنية هوّنى عليك فوَ الله
لقل ما كانت امرأة قط وضيئة[3] عند رجل يحبها لها ضرائر[4] الا كثّرن
عليها قالت فقلت سبحان الله اولقد تحدث الناس بهذا قالت
فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى[5] دمع ولا اكتحل بنوم ثم
اصبحت ابكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن ابى طالب
واسامة بن زيد حين استلبث[6] الوحى يسالهما ويستشيرهما فى فراق
اهله قالت فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى

---

(١) المرط كل ثوب غير مخيط، كساء من صوف او نحوه يؤتزر به ج مروط
(٢) يا لها كانوا نبتها الى قلة معرفة بكائد الناس وشرورهم (٣) وضيئة حسنة حظية
(٤) ضرائر جمع ضرة امرأة الزوج يقال دب اليهم داء الضرائر اى الحسد
(٥) ما رقا الدمع اى لم يجف ولم ينقطع (٦) استلبث الشى استبطأه

يعلم من براءة اهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه فقال اسامة اهلك ولا نعلم الا خيرا. واما علىٌّ فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت له بريرة والذى بعثك بالحق ما رايت عليها امرا قط اغمصه[1] غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتى الداجن[2] فتاكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر[3] من عبد الله بن ابى وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه اذاه فى اهلى والله ما علمت على اهلى الا خيرا و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على اهلى الا معى قالت فقام سعد اخو بنى عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك قالت وقام رجل من الخزرج و كانت ام حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية

---

(١) اغمصه الطعن به عليها (٢) وجن الحمام وغيره الف البيوت واستانس فهو داجن والمراد هنا الشاة (٣) اى قال من يعتذر بعذرى ان كافاتر على قبح فعاله ولا يلحق وقيل معناه من ينصرف

فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما احببت ان يقتل فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم قالت واصبح ابواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لاظن ان البكاء فالق كبدي فبينا ابواي جالسان عندي وانا ابكي فاستاذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي، قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشئ قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال اما بعد ـ يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص[1] دمعي حتى ما احس

---

[1] كمت وانقطع

منه قطرة فقلت لابى اجب رسول الله ﷺ عنى فيما قال فقال ابى والله ما ادرى ما اقول لرسول الله ﷺ فقلت لامى اجيبى رسول الله ﷺ فيما قال قالت امى والله ما ادرى ما اقول لرسول الله ﷺ فقلت انا جارية حديثة السن لا اقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا اجد لى ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله يعلم انى حينئذ بريئة وانه مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت اظن ان الله منزل فى شأنى وحيا يتلى لشأنى فى نفسى كان احقر من ان يتكلم الله فى بامر ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل عليه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى انزل عليه قالت فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت اول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة

---

(١) فارق ويرح (٢) الشدة (٣) الجمان اللؤلؤ الواحدة بجانة (٤) بارح (٥) زال وانكشف

امّا الله فقد برّأك قالت فقالت لى امّى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه فانى لا احمد الا الله قالت وانزل الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ العشر الآيات ثم انزل الله هذا فى براءتى، قال ابوبكر الصدّيق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة ما قال فانزل الله وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ الى قوله غَفُورٌ رَحِيمٌ قال ابوبكر الصديق بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، وقال والله لا انزعها منه ابدًا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن امرى فقال لزينب ماذا علمت او رأيت فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم احمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة وهى التى تسامينى[1] من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك[2]

---

(١) تعاديني وتفاخرني بجمالها وكانت عند النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) صحيح البخاري الجزء الثاني كتاب المغازي

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة طويل السكت لايتكلم فى غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم كلامه فصل لافضول ولاتقصير، ليس بالجافى ولا المهين، يعظم النعمة وان دقت لايذم منها شيئا، غير انه لم يكن يذم ذواقا[1] ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها[2] فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى واذا غضب اعرض واشاح[3]، واذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر[4] عن مثل حب الغمام وكان فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر مسيح القدمين[5] ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا يخطو تكفيا[6] ويمشى هونا ذريع[7] المشية، اذا مشى كأنما ينحط من صبب

---

(١) الذواق المأكول والمشروب فعال بمعنى مفعول من الذوق ويقع على المصدر والاسم (٢) اى ولا يغضبه ايضا ما كان له علاقة بالدنيا

(٣) اعرض جدا (٤) اقمر فلان ضاحكا اى بدا سنانه وحب الغمام هو البرد بفتحتين

(٥) املسهما (٦) يتكفأ فلان اى يتمايل الى قدام (٧) ذريع المشية سريعها

واذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف نظره الى الارض اكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه يبدأ من لقى بالسلام، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأة، ما رأيته منتصرًا من مظلمة ظُلِمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيئ، فاذا انتُهك من محارم الله تعالى شيئ كان من اشدهم في ذلك غضبًا وما خُيِّر بين امرين الا اختار ايسرهما (واذا دخل بيته) كان بشرًا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه"[1]

كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى على احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه[2] معتدل الامر غير مختلف ولا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملّوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن

---

(١) عن الحسن بن علي عن خاله هند بن ابي هالة (٢) عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة (٣) اي يقطعه ويضعف شانه

الحق ولايجاوزه الذين يلونه من الناس، خيارهم افضلهم عنده اعمّهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة، لايقوم ولايجلس الاعلى ذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه لايحسب جليسه ان احدًا اكرم عليه منه، من جالسه او فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجته لم يرده الا بها او بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصاروا له ابًا وصاروا عنده في الحق سواءً مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وامانة لاترفع فيه الاصوات ولاتؤبن[1] فيه الحرم ولاتنثى[2] فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب[4].

كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب ولافحاش ولاعياب ولامشاح[5] يتغافل عما لايشتهي ولايؤيس منه ولايجيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار ومالايعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لايذم

---

(١) الاتقاب (٢) بضم الحاء وفتح الراء جمع الحرمة وهي مالايحل وروي بفتحتين

(٣) لاتشهر ولاتفضح زلات المجلس وبوادره (٤) عن الحسن بن علي عن الحسين بن علي عن علي بن ابي طالب (٥) بخيل

احدًا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث اولهم[1] يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم ويقول اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه[2] ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز[3] فيقطعه بنهى او قيام

اجود الناس صدرًا و اصدق الناس لهجة واليندهم عريكة[4] واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم[5]

---

(١) اى حديث اوائلهم اذ كانوا يتكلمون اى لاعن ملال وسآمة

(٢) الارفاد الاعطاء والاعانة

(٣) اى يتجاوز عن الحد او الحق

(٤) الطبيعة

(٥) عن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على رضى الله عنهم ملتقطا من جزء الشمائل للترمذى

صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رجل لا يحب الباطل ولا يس من الباطل فى شئ ان الله جعل الحق على لسانه وقلبه وهو الفاروق فرّق الله به بين الحق والباطل[1] افضل (الناس) مقتدرة واملكهم لنفسه اشدهم فى حال الشدّة واسلسهم فى حال اللين واعلمهم برأى ذوى الرأى، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن لما ينزل به، ولا يستحى من التعلّم، ولا يتحير عند البديهة، قوى على الامور لا يخور لشئ منها حده بعد وان ولا تقصير يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة[2] رشيد الامر تنطق السكينة على لسانه وقلبه[3] من رآه علم انه خلق عفا: الاسلام كان والله اجود نا نسيج وحده[4] تداعد للامور اقرانها[5] كان اسلامه فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت امارته رحمة، وكان حصنا حصينا للاسلام ما زلنا اعزة منذ اسلم[6] استخلف فاقام واستقام حتى ضرب[7] الدين بجرانه[8] انما كان مثل الاسلام

---

(١) اقوال النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر (٢) وصف ابى بكر لعمر (٣) من قول على بن ابى طالب (٤) يقال هو نسيج وحده اى مفرد لا نظير له (٥) من قول عائشة ام المؤمنين

(٦) من قول عبد الله بن مسعود (٧) ضرب الدين بجرانه اى ثبت واستقر من قولهم ضرب البعير بجرانه والقى جرانه اذا برك (٨) من قول على بن ابيطالب نح

ايامه مثل امرٍ مقبل لم يزل فى اقبالٍ فلما قتل ادبر فلم يزل فى ادبارٍ[1] وان موته ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيمة[2]

كان جوادًا بالحق بخيلًا بالباطل يرضى من الرضى ويسخط من السخط لم يكن مدّاحًا ولا مغيابًا طيب الطرف عفيف الطرف[3] وقّافًا عند كتاب الله، وكان كالطير الحذرى الذى كانّ له بكل طريق شركًا[4] قليل الضحك لا يمازح احدًا مقبلًا على شانه[5] اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وهو الناسك حقًّا[6] يمشى فى الاسواق ويطوف فى الطرقات ويقضى بين الناس فى قبائلهم ويعلم حرفى اماكنهم[7] رأيته خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادمٍ وقدم الجابية[8] على جمل اورق[9] تلوح صلعته[10] للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامه رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركابٍ وطاءه كساء

---

(١) من قول حذيفة بن اليمان رض (٢) من قول سعيد بن زيد رض
(٣) من قول عبد الله بن سلام (٤) من قول ابن عباس رض
(٥) من قول ابى رجاء العطاردى (٦) من قول الشفاء بنت عبد الله
(٧) من قول الشعبى (٨) زيد بن وهب (٩) موضع بالشام سافر اليه عمر خليفة
(١٠) الاورق الذى لونه لون الرماد (١١) صعد مرارة وقد سقط شعره

النجاني[1] ذو صوف هو ركابه اذا ركب وفراشه اذا نزل حقيبته[2] نمرة او شملة محشوة ليفا هي حقيبته اذا ركب ووسادته اذا نزل عليه قميص من كرابيس[3] قد رسم وتخرق جنبه[4]

صفة علي بن ابي طالب

عن ابي صالح قال، قال معاوية لضرار بن ضمرة صف لي عليًا فقال او تعفيني قال بل صفه قال اوتعفيني قال لا اعفيك قال اما اذا فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ماخشن ومن الطعام ماجشب[5] كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا اتيناه وياتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا و قربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه فان تبسم فعن مثل

---

(١) نسبة الى النجان موضع يعمل فيه الكساء (٢) الحقيبة ماتجعله الراكب خلفه والخويطة التي يضع فيها وعاء الزاد ونحوه (٣) جمع كرباس وهو الثوب الخشن والكلمة من الدخيل (٤) ملتقط من سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٥) اجشب الطعام غلظ

اللولؤ المنظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله و لا ييأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه[1] وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم[2] ويبكى بكاء الحزين و كأنى اسمعه وهو يقول يادنيا الى تعرضت ام الى تشوقت[3] هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير اه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق

قال فذرفت دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحمه الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقى عبرتها ولا يسكن حزنها[4]

---

(1) سجوفه استاره (2) سليم لدغ

(3) اللديغ او الجريح الشرت على الموت سموه به تفاؤلا بالسلامه

(4) تشوقت الى الشئ نظرت واشرفت وتطلعت اليه

(5) صفة الصفوة لابن الجوزى ج ١

عمر وام البنين

روى اسلم مولى عمر رضي الله عنه قال :-

خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم حتى اذا كنا بصرار اذا نار تؤرث فقال :-

" يا اسلم اري هؤلاء ركبا قصرهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر :-

" السلام عليكم يا اصحاب الضوء (وكره ان يقول النار) قالت المرأة " وعليك السلام "

فقال : أأدنو ؟

قالت : أدن بخير أو دع

فقال : ما بالكم ؟

قال : قصرنا الليل والبرد

قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟

---

(١) الحرة الارض ذات حجارة نخرة سوداء كأنها احرقت بالنار وواقم موضع بالمدينة وبه حرة (٢) الصرار المكان المرتفع (٣) توقد (٤) قصر به الليل حبسه (٥) يتضاغون يتصارخون ويصيحون

قالت : الجوع !

قال : واى شئ فى القدر ؟

قالت : ماء أسكتهم به حتى ينامو ، الله بيننا وبين عمر

فقال : اى رحمك الله ، مايدرى عمر بكم ؟

قالت : يتولى امورنا ويغفل عنا !

فاقبل على فقال : انطلق بنا

فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق ، فاخرج عدلا وزاد فيه كُبَّة ثم

ثم قال : احمله علىّ

قلت : انا احمله عنك

قال : احمله على (مرتين او ثلاثا كل ذلك اقول انا احمله عنك)

فقال لاخرذلك :-

- انت تحمل عنى وزرى يوم القيامة ؟ لا امر لك !

فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى اتينا

اليها ، فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول :

- ذرينى على وانا أحرك لك

وجعل ينفخ تحت القدر (وكان فالحية عظيمة) فجعلت

انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج ادم القدر وقال :

---

(١) الكبة الشئ (٢) ذر الشئ نثره ورشه

ابغيني شيئا

فاتته بصحفة[1] فافرغها فيها وجعل يقول:

أطعميه حرا وانا اسطح لك

فلم يزل حتى شبعوا. ثم خلى عندها فعمل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول:

- جزاك الله خيرا، انت اولى بالامر من امير المومنين فيقول قولى خيرا، انك اذا جئت امير المومنين وجدتنى هناك انشاء الله

ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت اقول:

- ان لك لشانا غير هذا

وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا، فقام وهو يحمد الله، ثم اقبل على فقال:

يا اسلمان الجوع اسهرهم وابكاهم فاجبت الا انصرف حتى ارى ما رأيت فيهم[2]

---

(1) الصحفة قصعة كبيرة مبسطة تشبع الخمسة ثم عشرات

(2) الكامل لابن الاثير و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى باختلاف بعض الالفاظ

مقتل عمر بن الخطاب

قال عمر بن ميمون: انى لقائم ما بينى وبينه - يعنى عمر - الا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما غداة اصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى اذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ بسورة يوسف او النحل او نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول

- قتلنى او اكلنى الكلب -

حين طعنه فطار العلج[1] بسكين ذات طرفين، لا يمر على احد يمينًا ولا شمالاً الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا[2]، فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه

وتناول عمر رضى الله عنه يد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقدمه (اى للامامة) فمن يلى عمر فقد رأى الذى ارى و

---

(١) العلج الرجل الضخم القوى من كفار العجم وقد يطلق على الكافر عموما وهو هنا ابو لؤلؤة واسمه فيروز وكان مجوسيا

(٢) البرنس قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الاسلام، وكل ثوب يكون غطاء الراس جزءًا منه متصلا به

اما نواحي المسجد فانهم لا يدرون غير انهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله، سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال عمر

- يا ابن عباس، انظر من قتلني ؟

قال فجال (ابن عباس) ساعة ثم جاء فقال

- غلام المغيرة

قال الصَّنَع[1] ؟ قال نعم !

قال قاتله الله، لقد امرت به معروفًا

ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الاسلام قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة[2]

وكان العباس رضي الله عنه اكثرهم رقيقا، فقال ابن عباس رضي الله عنه ان شئت فعلت (اي ان شئت قتلنا)

قال كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم

فاحتُمِلَ الى بيته رضي الله عنه فانطلقنا معه، قال :

وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول :

---

(1) رجل صنع بالتحريك وصنع بالسكون وصنع بكسر الصاد حاذق في الصنعة ماهر في عمل اليدين

(2) كان عمر رضي الله عنه يكره كثرة سبايا الفرس في مركز الاسلام وعاصمة الخلافة ويحذر من اختلاطهم بالمسلمين وافسادهم

لاباس به

وقائل يقول :- اخاف عليه

فأُتِي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه . ثم اتي بلبن فشرب فخرج من جوفه، فعرفوا انه ميت

فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شابٌ وقال :-

— ابشر يا امير المومنين ببشرى الله، لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمك في الاسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة .

فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي، فلما ادبر اذا ازاره يمسُّ الارض فقال :

- ردّوا علي الغلام

فقال : يا ابن اخي، ارفع ثوبك، فانه انقى لثوبك، واتقى لربك

— يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدَّين

فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه قال ان وفى له مال ال عمر فاده من اموالهم، والا فسل في بني عدي بن كعب[1] فان لم تف اموالهم فسل في قريش، ولا تعدُهم الى غيرهم فاد

---

[1] قبيلة عمر بن الخطاب

عنى هذا المال، انطلق الى عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فقل يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل امير المؤمنين فانى لست اليوم المؤمنين اميرا، وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه

قال فسلّم فاستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت

- كنت اريده لنفسى ولاوثرن به اليوم على نفسى

فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء

فقال: ارفعونى، فاسنده رجل اليه

فقال: مالديك

قال الذى تحب يا امير المؤمنين، قد اذنت

فقال الحمد لله، ما كان شيئ اهمّ الىّ من ذلك، فاذا انا قُبِضْتُ فاحملونى ثم سلّم فقل: يستاذن عمر بن الخطاب فان اذنت لى فادخلونى، وان ردّتنى فردّونى الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستاذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا

- اوص يا امير المؤمنين، استخلف

قال ما اجد احقّا احق بهذا الامر من هؤلاء النفر او الرهط الذين

توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض

فمشى عليّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وقال

ليشهد كم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء (كهيئة التعزية له) فان اصابت الامرة سعدًا فهو ذاك، والا فليستعن به ايكم ما أمّر، فانى لم اعزله من عجز ولا خيانة

وقال اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرًا الذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئهم، واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضل اهم عن رضاهم، واوصيه بالاعراب خيرًا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشى اموالهم وترد على فقرائهم، واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر قال يستأذن عمر بن الخطاب، قالت (اى عائشة)

- ادخلوه فادخل، فوضع هناك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن

- اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم

قال الزبير : قد جعلت أمري الى علي ؛

وقال طلحة : قد جعلت امري الى عثمان ؛

وقال سعد : قد جعلت امري الى عبد الرحمن بن عوف

فقال له عبد الرحمن : ايكما تبرأ من هذا الامر فنجعله اليه ، والله عليه والاسلام لينظرن افضلهم في نفسه

فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن

افتجعلونه الي ؛ والله علي ان لا آلو عن افضلكم

قالا : نعم

فاخذ بيد احدهما فقال ، لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الاسلام ما قد علمت فالله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن

ثم خلا بالاخر فقال له مثل ذلك ، فلما اخذ الميثاق قال

ارفع يدك يا عثمان

فبايعه فبايع له علي (رضي الله عنه) وولج اهل الدار فبايعوه (١) (٢)

---

(١) دار عبد الرحمن بن عوف ليالي يلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم فرأى اجتماعهم يشيرون عليه بعثمان

(٢) صحيح البخاري

كيف كان معاوية يقضي يومه

روى المسعودي[٢] في تاريخه (مروج الذهب) قال

كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات، كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيوتى بمصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراءه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشي ثم يوتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدي[٣] بارد اوفرخ وما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول ياغلام اخرج الكرسي فيخرج الى المجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم

---

(١) معاوية بن ابي سفيان رض من اصحاب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي مؤسس الدولة الاموية ومن نوابغ السياسيين الذين انجبتهم ارض الجزيرة، كان عمر رضي الله عنه ينظر اليه ويقول هذا كسرى العرب، كان جوادا وقورا يضرب بحلمه المثل، كان احد كبار ملوك العالم في عصره لعشرين سنة توفي ٦٠ هـ

(٢) هو ابوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي المؤرخ الشهير، نشأ في بغداد وساح البلاد الى الهند والصين وعاد واعتكر توفي سنة ٣٤٥ او ٣٤٦ هـ

(٣) الجدي ولد المعز في السنة الاولى

اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا احد له فيقول أعزّوه ويقول عدي على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروا في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال يا هولاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استُشهِد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول اخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهد وهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يوتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرا كتابه فيامر فيه بامر فيقال يا عبد الله اعقب فيقوم ويتقدم اخر حتى ياتي على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالظهر فيخرج فيصلي ثم يدخل فيصلي اربع ركعات ثم يجلس فيأذن للخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج[1] من الاخبصة[2] اليابسة والخشكنانج[3] والاقراص

(١) نوع من الاطعمة (٢) الخبيص حلواء (٣) معرّب لعله خشك نان

المجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ[1] والكعك[2] المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيوامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان في اخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره ويوذن للناس على مناذلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء فينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات ويقرأ في كل ركعة خمسين اية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الأخرة فيخرج فيصلي ثم يوذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما اراد واصدروا من ليلتهم ويسمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تاتيه الطرف[3] الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المأكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدنا ترفيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والاثار وانواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم

---

(١) السميذ الدقيق الابيض (٢) الكعك خبز يعمل من مستدير ا من الدقيق والحليب والسكر

خطبة زياد[1] بن ابيه

اما بعد فان الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي باهله على النار، مافيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم[2] من الامور التي ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى[3] عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما اعدّ الله من الثواب الكريم لاهل طاعته، والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول، انه ليس منكم الا من طرفت[4] عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من تركك الضعيف يقهر، والضيعة المسلوبة بالنهار لا تنصر، والعدو غير قليل، والجمع غير مفترق. اما يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دبيب[5] الليل وغارة النهار؟! قربتم القرابة وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتغضون على الذكر

---

(١) من نوابغ العرب وداهيتها ومن اخطب الخطباء واشهر السياسيين والاداريين في العصر الاسلامي الاموي، خطب بين يدي عمر يوما في حفرة المهاجرين والانصار خلة لم يسمعوا مثلها واستدناه بعقله وكفايته عمر وعلي بعده ومعاوية بعدهما فكان فوق المتنطر وهو من اقوى العمد التي قام عليها عرش بني امية كانت وفاته سنة ٥٣ هـ

(٢) عقلاءكم (٣) لا يحترز ولا يجتنب (٤) النائم المستغرق (٥) طرفت عينه اصابها بشيء فدمعت (٦) السير في الليل

كل امرئ منكم يردعن سفيهه، صنع من لايخاف عاقبة و لايرجو معادا! ما انتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام: ثم اطرقوا وراءكم كنوسا(١) في مكانس(٢) الريب حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا. اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، و اني لاقسم بالله لاخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمطيع بالعاصي، والصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل اخاه فيقول: ـــــ انج سعد فقد هلك سعيد، او تستقيم قناتكم(٣). ان كذبة الامير بلقاء(٤) مشهورة، فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حللت لكم معصيتي، فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها(٥) مني واعلموا أن عندي امثالها. من نقب منكم عليه فأناضا من لما ذهب من ماله، فاياي ودلج الليل. فاني لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه، وقد اجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياي ودعوى الجاهلية، فاني لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه

---

(١) الكانون الطبي يدخل في كناسه وهو بيته ج كنف وكنوس (٢) الخابئ ومحال المنكر (٣) استعاصت قناته استقام وصلح (٤) ان كذب الامير افتضح كذبه ـــــ فاشتهر عنه ذلك فان البلق يمتاز عن سائر الجسد فاذا ثبت لكم اني كذبت فلا طاعة لي عليكم

وقد احدثتم احداثا لم تكن، وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن اغرق قوما اغرقناه، ومن احرق قوما احرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا، فكفوا عني ايديكم والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من احدكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه، وقد كان بيني وبين قوم احن[1] فجعلت ذلك دبر[2] اذني وتحت قدمي اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل[3] من بغضي لم اكشف له قناعا، ولم اهتك له سترا حتى يبدي صفحته، فاذا فعل ذلك لم ار ناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيبتئس[4] ومسرور بقدومنا سيبتئس[5]!

ايها الناس! انا قد اصبحنا لكم رعاة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بمن الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وثقتنا بنا بصحتكم لنا، وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل منكم ان يكون من صرعاي!

---

(١) الاحنة الحقد ج احن (٢) جعلت ذلك وبر اذني، اي خلفت اذني فلم اصغ اليه ولم اعرج عليه (٣) السل والسل بالكسر والضم الهزال ودا معروف

(٤) ابتأس كره وحزن (٥) الباء والتبيين

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

يا اهل العراق ! ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب[٣] والسامع والاطراف والشغاف[٤] ثم مضى الى الاخاخ[٥] والاصماخ[٦] ثم ارتفع فغشش، شر باض وفرخ، فحشاكم نفاقا وشقاقا، قد اتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، وسومرا تستشيرونه فكيف تنعمكم تجربة. اوتعظكم وقعة، اويجزكم اسلام، او يردكم ايمان ؟ ألستم اصحابي بالاهواز، حيث رمتم المكرو سعيتم بالغدر وظننتم ان الله يخذل دينه وخلافته، وانا أرميكم بطرفي وانتم تسللون لواذا[٧]، وتنهزمون سراعا. ويوم الزاوية ! وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وبراءة الله منكم

---

(١) ٤١-٩٥ هـ جلاد بني امية وعامة ملوكهم كان لسانا سليطا قوي الحجة لا يكاد يعد له في ذهن احد من اهل زمانه قال مالك بن دينار ما ملأت عيني من الحجاج انه كان لعرق المنبر فيذكر لحسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم واساءته اليه حتى لاخيه صادقا والظنهم كاذبين مع انه قتل صبرا بالصبر مائة وعشرين الفا وبقي في سجونه سبعون الف رجل وثلاثون الف امرأة

(٢) استطن الشئ دخل بطانته واستبطنته اتخذه له بطانة اي خاصة (٣) العصب بفتح الصاد اطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها وهي منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس

(٤) الشغاف من القلب غلافه وحبته (٥) الاخاخ جمع مخ وهو ما يعرف بالنخاع

(٦) الاصماخ جمع صماخ حرف الاذن (٧) يحول بينكم وبين ما تعملون

(٨) تهربون خفية

ونكوص وليه عنكم، اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها، النوازع[1] الى أعطانها[2]، لايسأل المرء منكم عن اخيه، ولايلوى[3] الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح! ويوم ديرالجماجم بما كانت المعارك والملاحم[4] بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله. يااهل العراق! اهل الكفرات والغدرات، والثورة بعد الثورات! ان ابعثكم الى ثغوركم عللتم وخنتم، وان امتراخفتم، وان خفتم نافقتم، لاتذكرون خشية، ولاتشكرون نعمة، هل اسخفكم[5] ناكث واستغواكم غاو واستنصركم ظالم واستعضدكم خالع الا وثقتموه وآويتموه ونصرتموه ورضيتموه؟ هل شغب شاغب اونعب ناعب[6] الا كنتم اشياعه وانصاره؟ الم تنهكم المواعظ؟ الم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت الى اهل الشام فقال: يااهل الشام! انما انتم كالظليم[7] الذاب عن قراحه، ينفي عنها المدر، ويبعد عنها الحجر، ويكنهامن المطر يااهل الشام! انتم الجنة والرداء، وانتم العدة والعطاء[8]

---

(١) نزع احنان وحن (٢) العطن الناح حول الورد (٣) لاينعطف ولايعرج (٤) كرتكم (٥) الحروب والوقائع العظيمة (٦) الرؤس (٧) مكاسر (٨) ارحن خاص في الاخبار السيئة والفتن فسدات بهيج الناس، (٩) استخفه استجهله. اذا زعن الحق والصواب (١٠) استنصركم (١١) صوّب وصاح (١٢) الذكر من النعام (١٣) الذكر الطيب ورفاه الذي لا عظم الطير رسل (١٤) البيان والتبيين

خطبة طارق بن زياد (عند فتح الاندلس)

ايها الناس اين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم (١) وليس لكم والله الا الصدق والصبر، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام (٢) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه و اسلحته واقواته موفورة (٣) وانتم لا ورس لكم (٤) ولا اسيوفكم ولا اقوات الا ما استخلصوه من ايدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجز لكم امراً ذهب ريحكم (٥) وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراة عليكم (٦) فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية (٧) فقد القت به اليكم مدينة الحصينة (٨) وان انتهازكم الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت، والى لم احذركم امراً انا عنه بنجوة (٩) ولاحملتكم دوني على خطة ارخص متاع فيها النفوس، ابدأ بنفسي (١٠) واعلموا انكم

---

(١) كان مولى لموسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على افريقية والمغرب جبل طارق في جنوب الاندلس وخطبته هذه فصل كبير في فتح الاندلس وفيها اسس العرب هناك من دولة وحضارة مولى سنة ٩٢ هـ

(٢) وهي ثلاثة احرق السفن التي حملتهم الى بلاد اسبانيا (٣) لا يبالون شيئاً الا اقاموا عليه (٤) كثيرة (٥) لا تأمركم غير سلاحكم (٦) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٧) غاصت عليكم بدل حولها منكم (٨) بمقاتلة ذلك الجبار (٩)

(١٠) انا منه بمكان حصين بعض اناسنه الناس

ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالاثر فيه الا لذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فيحظكم فيه وافر من حظي، وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجاذكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لازيحه فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الخبر من فتح هذه الجزيرة بقتله

---

(١) الارعد الاثر (٢) فيه الى الامر الاتن (٣) ما احرجت (٤) العربون وهو ما يقدم لربط المبيع (٥) الصهر الحرم الزوج او الزوجة كالاب والاخ . الختن الغريب المحرم لزوجة (٦) بكركم بمقاتلة الجمعان (٧) وليكون غنمها لكم خالصا فاحملوا تكروا عاسكم (٨) تجدون عونا وحاميا في وجود بطل عاقل يعني انكم عدون كثيرا من الابطال العقلاء الذين تولون بحمر امركم (٩) فخر الطيب البري

خطبة عمر بن عبد العزيز[1] رحمه الله

ايها الناس :- انكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وان لكم معاداً يتولى الله فيه الحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والارض، واعلموا ان الامان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع قليلا بكثير، ونافد بباق، وخوفا بامان، الا ترون انكم في اسلاب[2] الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى ترد والى خير الوارثين ثم انكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً، الى الله ورائحاً قد قضى نحبه وانقضى اجله ثم تضعونه في صدع من الارض، في بطن لحد، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب ووجه للحساب، غنياً عما ترك فقيراً الى ما قدم والله اني لا قول لكم هذه المقالة، ولا اعلم عند احد منكم اكثر مما عندي واستغفر الله لي ولكم، وما يبلغنا احد منكم حاجة يسعها ما عندنا الا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه والا احد يسع له ما عندنا

---

(١) "الرجل الصالح والخليفة الراشد وتأتي عمر رضي الله عنه في الاسر والرسم واسوة الملوك والامراء الى يوم القيمة ولي الخلافة سنة ٩٩ بعد سليمان بن عبد الملك فادى الامانة وبلغ الغاية في الورع والزهادة والتحري للحق والعدل والضعفت عن اموال المسلمين وحقوقهم العيش وخشونة الملابس والمجلس لحق بجده (عمر) سنة ١٠١ ه

(٢) السلب ما يسلب ج اسلاب (٣) وسده جعل الوسادة تحت رأسه

الا وددت ان يده مع يدى، ولحمتى الذى يلونني حتى يستوى عيشنا وعيشكم، وايم الله لو اردت غير هذا من عيش او خضارة[1] لكان اللسان به منى ناطقا ذلولا وعالما باسبابه، ولكنه سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيهما على طاعته، و نهى فيهما عن معصيته[2]

وصية الى كتاب امامهم عبد الحميد بن يحيى[3]

فتنافسوا يا معاشر الكتاب فى صنوف الآداب[4] وتفهموا فى الدين وابدأوا بالعلم بكتاب الله عز وجل والقراءة ثم العربية فانها تقوّم[5] السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية[6] كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمّو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر

---

(١) الخضارة الخير وطيب العيش (٢) الدارقطنى والكبير بمعناه وابو غالب بن يحيى بن سعد المنسوب الى بنى عامر نسبه ولائية نحو من ٨٠ الا قليلا غير عربيه امام الكتاب وعبده صناعة الانشاء والترسل ثقفت الكتابة على سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب سهّ ثم اتكتبه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية فمن عنده وحظى بالخط به غيره، وتكن من ادخال تحسينات كثيرة على الصناعة منها توزيع الخطاب ومراعاة مقتضى حال والتدرّج فى البداءة والختام والطائف المحسنات ونفقت فى سوق الكتابة لمكانة عبد الحميد من الخليفة ورعاية خليفة الكتاب، قتل سنة ١٣٢ هـ

(١٠) يبدأ فى انواعها (٥) رواجها (٥) زينتها (٧) ترصع

فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات وايا كم والكبر والسخف والعظمة فانما عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا فى الله عزوجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لاهل الفضل و العدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وابسطوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته .....

ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لاعباء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين

---

(١) نظام امورهم وعمادها (٢) السفساف الردى الفاسد من كل شى وحقائر الامور محمرانها وصغائرها (٣) باعدوا بها (٤) السخف ضعف العقل (٥) مكتسبة (٦) الاحنة الحقد والغضب (٧) أذا جار عليه الزمان (٨) ابذلوا له مما تملكون و ساعدوه بما تقتدرون (٩) استفيدوا من تجاربه ومعلوماته

ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل: من تلزمه النصيحة يلزمه العمل. (وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى ذكر فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وصف صديق لابن المقفع

كان لى اخ هو اعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى

---

(١) يغالبه (٢) من احتاج الى النصح وجب عليه العمل به (٣) صبح الاعشى

(٤) عبد الله بن المقفع كاتب فارسى الاصل عربى النشأة نبغ فى الكتابة فى اللغتين الفارسية والعربية واشتغل فى مجد سن امير واسلم فى مجد بن العباس وقتل فى مجد المنصور سنة ١٤٢ هـ بالعامرية من البصرة وكان ابن المقفع امة فى الادب والانشاء صاحب طريقة فى الكتابة يعرف بها واخذت عنه وهى طريقة سهلة جارية مع الطبع عامرة بالمعانى خفيفة اللفظ فالقلب والعاطفة يراعيها قليل الاما كان قبله واعن وجد اثر وتمثيلا لاخلاقه كالصدق والشجاعة والمروءة والرحمة الانسانية فى الرحمة لانهم سواسية الرحمة ولا تميز الفعل عن الوضع وكتابه "كليلة ودمنة" الذى ترى انموذجه فى فصل اخوان الصفاء ومثال خالد للمرحوم

مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجًا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يماري فيما علم وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يتقدم رأيه الأعلى ثقة بمنفعة وكان أكثر دهره صامتًا فاذا قال بذَّ القائلين وكان يرى ضعيفا مستضعفا فاذا جدّ الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودًا عدولا وكان لا يلوم أحدًا فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره، وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبًا الا ان يرجو عنده النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشفى ولا يتقدم من العدو ولا يغفل عن الولي ولا يخص نفسه بشيء دون اخوانه من حيلته وقوته واهتمامه،

فعليك بهذه الاخلاق ان اطقتها ولن تطيقها ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع!

اخوان الصفاء له

فبينما الغراب في كلامه اذ اقبل نحوهم ظبيٌ يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت في الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب

فوقع على شجرة، فإذا الغراب حلّق فى السماء لينظر هل للظبى طالب؟ فنظر فلم ير شيئاً، فنادى الجرذ والسلحفاة، وخرجا، فقالت السلحفاة للظبى حين رأته ينظر الى الماء: إشرب ان كان بك عطش، ولا تخف، فانه لا خوف عليك فدنا الظبى، فرحبت به السلحفاة وحيّته. وقالت له: من اين اقبلت؟ فإن كنت[1] بمنذه العصرى؛ فلم تزل الاساورة[2] تطردنى من مكان الى مكان، حتى رأيت اليوم شبحاً، فخفت ان يكون قانصاً قالت: لا تخف، فانا لم نر هاهنا قانصاً قط، ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا، والماء والمرعى كثيران عندنا: فارغب فى صحبتنا فاقام الظبى معهم وكان لهم عريش[3] يجتمعون فيه، ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم فى العريش، غاب الظبى فتوقعوه ساعة، فلم يأت، فلما أبطأ أشفقوا[4] ان يكون قد اصابه عنت[5] فقال الجرذ والسلحفاة للغراب: انظر هل ترى مما يلينا شيئاً؟ فحلق الغراب فى السماء، فنظر، فاذا الظبى فى الحبائل مقتصاً، فانقض مسرعاً فاخبرهما بذلك

---

(١) الناخ من الصيد ما مرض من الجوارح الطير، والبارح ضده وهو ينفاء لزوم بالاول لا بالثانى (٢) جمع اسوار وهو الرامى بالسهام (٣) مكان يستظل به

(٤) خافوا (٥) وقوع فى امر شاق

فقالت السلحفاه والغراب للجرذ : هذا امر لا يرجى فيه غيرك فاغث اخاك ، فسعى الجرذ مسرعا فاتى الظبى ، فقال له : كيف وقعت فى هذه الورطة وانت من الاكياس[1] ؟ قال الظبى : هل يغنى الكيس مع المقادير شيئا ؟ فبينما هما فى الحديث اذ وافتهما السلحفاة ، فقال لها الظبى : ما اصابت بحيلتك الينا ، فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقنه عدوا ، وللجرذ اجحار كثيرة ، والغراب يطير ، وانت ثقيلة : لا سعى لك ولا حركة ، واخاف عليك القانص . قالت : لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق الاليف اليفه فقد سلب فؤاده ، وحرم سروره ، و غشى بصره ، فلم ينته كلامها حتى وافى القانص . فوافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك ، فنجا الظبى بنفسه ، وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاجحار ، ولم يبق غير السلحفاة ، وذا الصياد فوجد حبالته مقطعة ، فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب ، فاخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبى ان اجتمعوا فنظروا القانص وربط السلحفاة فاشتد حزنهم ، وقال الجرذ : ما اردانا نجا وزعقبة من البلاء الا صرنا فى اشد منها ؟ ولقد صدق الذى قال : لا يزال الانسان مستمرا فى آماله

---

(١) جمع كيس وهو الفطن الظريف من الكياسة

مالم يعثر، فاذا عثر نبح "١ العثار، وان مشى فى جدد "٢ الارض وحذر على الصفاة حيرالاصدقاء التى خُلّتها "٣ ليست للمجازاة ولا للقماس مكافاة، ولكنها خلة الكرم والشرف، خلفة هى افضل من خلة الوالد لولده، خلة لايزيلها الا الموت، وبح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لايزال فى تصرف وتقلب، ولا يدوم له شئ، ولا يلبث معه امر: كما لايدوم للطالع من الخور طلوع، ولا للآفل منها افول لكن لايزال الطالع منها آفلا والافل طالعا، وكما تكون "٤ الام الكلوم وانتقاض الجراحات. كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم. فقال الظبى والغراب للجرذ: ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا، كل منها لايغنى عن الصفاة شيئا. وانه كما يقال: انما يختبر الناس عند البلاء، وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب. قال الجرذ: ارى من الحيلة ان تذهب، ايها الظبى، فتقع بمنظر من القانص: كانك جريح ويقع الغراب عليك كانه يأكل منك: واسعى انا فاكون قريبا من القانص مراقبا له، لعله ان يرمى ما معه من الآلة،

---

(١) نادى (٢) الارض الغليظة المسحوبة (٣) الخلة الصداقة المختصة تكون فى عقاد، وفى دعابة (٤) حزين ثكلى وهو الجرح

ويضع السلحفاة، ويقصدك طامعا فيك، راجيا تحصيلك، فاذا دنا منك ففرعنه رويدا، بحيث لا ينقطع طمعه منك، ومكّنه من اخذك مرّة بعد مرّة، حتى يبعد عنا، وانج منه هذا النحو ما استطعت: فانى ارجوا الا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة؛ ولنجوبها، ففعل الغراب والظبى ما امرهما به الجرذ، وتبعهما القانص، فاستجراه الظبى، حتى ابعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل، حتى قطعها، ونجا بالسلحفاة، وعاد القانص مجهود الاغبا[1] ذو جد حباله مقطعة ففكر فى امره مع الظبى المتطلع؛ فظن انه خولط فى عقله، وفكر فى امر الظبى والغراب الذى كانه يأكل منه، وقرض حباله، فاستوحش من الارض وقال: هذه ارض جن او سحرة، فرجع موليا لا يلتمس شيئا ولا يلتفت اليه، واجتمع الغراب والظبى والجرذ والسلحفاة الى عرينهم سالمين آمنين كاحسن ما كانوا عليه

فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرّة بعد اخرى بمودته وخلوصها وشبات قلبه عليها واستماعه مع اصحابه بعضهم ببعض، فالانسان الذى قد أعطى العقل والفهم، والهم الخير والشر، ومنح التمييز والمعرفة اولى واحرى بالتواصل والتعاضد. فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم فى الصحبة[2]

---

(١) تعبا (٢) من كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع «فصل» الحمامة المطوقة»

البعثة المحمدية

من رسالة إبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها الرشيد الى سُطنطين ملك الروم:

أن الله عزوجل اصطفى الاسلام لنفسه، واختار له رسلاً من خلقه، وابتعث كل رسول بلسان قومه، ليبين لهم ما يتبعون، و يعلمهم ما يجهلون: من توحيد الرب وشرايع الحق (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) فلم تزل رسل الله قائمة بامره، متوالية على حقه، في مواضي الدهور، وخوالي القرون وطبقات الزمان، يصدق آخرهم بنبوة اولهم، ويصدق اولهم قول آخرهم، ومفاتح دعوتهم واحدة لا تختلف، ومجامع ملتهم ملتئمة لا تفترق، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بنى عيسى عليه السلام بشرها، الى النبي الامي الذي انتخبه الله لوحيه، و اختاره بعلمه، فلم يزل ينقله بالاباء الاخيار، والامهات الطواهر امة فامة، وقرناً فقرناً، حتى استخرجه الله في خير أوان، وافضل زمان من اثبت محامد ارومات[1] النبيين اصلاً، واعلى ذوائب نبعات[2] العرب

---

(١) محامد: جمع محمد، وهو الاصل (٢) ارومات: جمع ارومة، وهي الاصل.

(٣) نبعات: اصول كريمة

فرعا، واطيب اعراقا، وانبت اعياصا[1] قريش مغرسا، وارفع ذرى مجد بني هاشم سمكا: محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقه نفسا، على حين اوحشت الارض من اهل الاسلام والايمان وامتلأت الافاق من عبدة الاصنام والاوثان، واشتعلت البدع في الدين، واطبقت الظلم على الناس اجمعين وصار الحق رسما عافيا، خلقا باليا، ميتا وسط اموات، ما ان يحسون للهدى صوتا يسمعونه، ولا للدين اثرا يتبعونه فلم يزل صلى الله عليه وسلم قائما بامر الله الذي انزل اليه، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل، ويحذرهم عقوبات الشرك، ويجاهدهم بنور البرهان، وآيات القرآن، وعلامات الاسلام، صابرا على الاذى، محتملا للمكروه، قد الهمه الله عز وجل انه مظهر دينه، ومعز تمكينه، وعاصمه ومستخلفه في الارض، فلين يثنيه ريب، ولا يلويه هيب، ولا يعنيه اذى، حتى اذا قهرت البينات الباهم وبهرت الآيات ابصارهم، وخصم نور الحق حجتهم، فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه لزوهم على ذلك مكذبون بافواههم وجاحدون بافوالهم، كما قال الله عز وجل العليم بما يبدون، الخابر بما يعلنون: ﴿فَإِنَّهُمْ

---

(١) اعياص قريش - اولاد امية بن عبد شمس الاكبر، وهم: العاص وابو العاص والعيص وابو العيص والعويص (٣) في الاصل: "فلا"

لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) بغيا وعداوة وحسداً وَالْجَاحَةُ افترض الله عليه قتالهم، وامره ان يجرد السيف لهم وهم في عصابة يسيرة، وعدة قليلة، مستضعفين مستذلين يخافون ان يخطفهم العرب، وتداعى عليهم الامم وتسخلهم الحروب فاواهم في كنفه، وايدهم بنصره وانذرهم بقدمة من الرعب ومشغلة من الحق، وجنود من الملائكة حتى هزم كثيراً من المشركين بغلبتهم، وغلب قوة الجنود بضعفهم، انجاز الوعد وتصديقاً لقوله: (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) فاحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي قائماً لله لتجد لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك، مضطرباً واسعاً، ومعتمداً نافعاً، وشعوباً جمة، كلها خير يدعوك الى نفسه وبيان ينكشف لك عن محضه، واخبار امير المؤمنين من مكنت قتالاً لولم تكن البعثة للنبي صلى الله عليه وسلم بل لذلك. ولم يتكن الامر بامور تفرد بها ذلك، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك وقالت الجماعة المختلفة لك. انه خبر بين ان هذه الضلالات المستأصلة، والجماعات المتباعدة، استوى بها المؤمنين من قبائل العرب، وجماهير الامم وصناديد الملوك، جمعهم

---

(١) اصله تتداعى تحذف احدى التاءين، ومعناه يجتمعون عليهم ويأتون من كل جانب.

(٢) تسخلهم: تقهرهم وتغلبهم وتأخذ اموالهم (٣) المساورة: المواثبة

قد نصب لها وغرى بها، بجهل أحلامها، وبكفر اسلافها، و بمفارق الأنها، وبلعن آبائها، و بضلال اديانها، وبنادي بشهاب الحق بيضاء، ويجهر بكلمة الإخلاص إلى من تراخى عنها، حتى حميت العرب وانفت العجم، وغضبت الملوك، وهو على حال نذالته بالحق و دعائه اليه، وحيداً فريداً، لا يحفل بهم غضبا، ولا يرهب عنتاً، يقول الله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) أكنت تقول فيما جرى الا قاويل به وتقع الآراء عليه. الا انه احد رجلين: إما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول، وقد دعا الحتف الى نفسه، واذن الله لقومه في قتله، فليست الايام بمادة ولا الحال شابتة له الا ريثما نستلمه[1] اسبابهم، وينهض به حدا ؤهم، غضب الرب، وانقمة لدينهم، وحمية لاصنامهم، وحسدا من عند انفسهم، واما صادق بصير بموضع قدمه و مرمى نبله، فد تكفل الله عز وجل بحفظه. وحصنه بعزه، وجعله في حرزه، وعصمه من الخلق، فليست الوحشة بواصلة مع محبة الله اليه، ولا الغيبة بداخلة مع عصمة الله عليه، ولا سيوف الاعداء بماذون لها فيه، شمران[2] ايتكم يا اهل الكتاب لو قيل لكم: ان الرجل الذي يدعى العصمة وينتحل المنعة، أقد نجمت الامور به على ما قال،

---

(١) نستلمه. من ن، ب وتنسب (٢) كذا في الاصل

وسلمت المحال له فيما ادعى، حتى نصب لعمالات[1] العرب، وجماعات الامم يقاتل بمن طاوعه من خالفه، وبمن تابعه من عانده، جاداً مشمراً محتسباً واثقاً بموعود الله ونصره، لا تأخذه لومة لائم في ربه، ولا يوجد لديه غميزة[2] في دينه، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه، حتى اعز الله دينه، واظهره تمكينه وانقادت الاهواء له، واجتمعت الفرق عليه. المربكن ذلك بزيد حقه يقيناً عندكم، ودعوته ثبوتاً فيكم. حتى تقول الجماعة من خلمائكم واهل المنكة من ذوي اراءكم: ما كان الرجل، اذا كان وحيداً فريداً قليلاً ضعيفاً ذليلاً مغروفاً بالعقل منسوباً الى الفضل، ليجترئ ان يقول: ان الله عز وجل اوحى اليه فيما انزل من الكتاب عليه ان يبصمه من العرب جميعاً ويمنعه من الامم طراً، حتى يبلغ رسالات ربه، ويظهره على الدين كله، ويدخل الناس افواجاً في دينه، الا وهو على ثقة من امره ويقين من حاله[3]

---

(١) عمالات العرب احياؤها الظنية

(٢) الغميزة المعمر والمطعن والعيب

(٣) عصر المامون

رحلة الإمام الشافعي[1]

عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول :
فارقت مكة ـــ وأنا ابن اربع عشرة سنة لا نبات بعارضي
من الابطح الى ذي طوى وعلي بردان يمانيان ، فرأيت ركبا منيخة
سلمت عليهم فردوا علي السلام ، فوثب الي شيخ كان فيهم فقال :
ـــ سألت بمن القيت علينا سلامه الا ملحضرت طعامنا و
ما كنت علمت انهم احضروا طعامًا
فاجبت مسرعًا غير محتشم ، فرأيت القوم يدورًا ياخذون
الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة ، فاخذت كاخذهم كيلا يستشنع
عليهم مأكلي ، قال : والشيخ ينظر الي ساعة بعد ساعة ، ثم
اخذت السقاء وشربت ريًا ، وحمدت الله تعالى واثنيت عليه ،

---

[1] هو ابو عبد الله محمد بن ادريس القرشي الشافعي ولد بغزه ونشأ في بني هذيل على اللغة والشعر وقرأ القرآن ودرس العربية وبرع في طلب اللغة والآداب وحفظ الموطا وما ارتبي عمره على خمس عشرة سنة ورحل الى مالك امام المسلمين كما وصف بنفسه وقرأ عليه واخذ منه وفي سنة ١٨٩ هـ وفد الى بغداد والتقى حوله علماء ها باخذوا عنه وفيهم الامام احمد بن حنبل ولقي محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة واسقطاه شرد حل مصر سنة ١٩٩ حيث انتقل الى رحمة الله سنة ٢٠٤

كان رحمه الله احد اعلام الامة المجتهدين وفقهائها نصبح المنطق راجح العقل قوي الحجة اماما متبوعا وتاجرا مطبوعا .

قال : فاقبل على الشيخ وقال :

— مكى انت ؟

قلت : مكى

قال :- قرشى انت ؟

قلت : قرشى

ثم اقبلت عليه وقلت له :

— ياعم بم استدللت على ؟

فقال :- اما فى الحضر طعام ؟ من احب ان ياكل طعام الناس احب ان يأكلوا طعامه ، وذلك فى قريش خصوصا

قال الشافعى : فقلت — من اين ؟

قال :- من يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم

قلت : من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله والمفتى باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : سيد أصبحى ، مالك بن انس (رضى الله عنه)

فقال الشافعى - رحمه الله - فقلت : واشوقاه الى مالك

فقال لى مجيبا : عدل الله شوقك ، الا ترى الى البعير الادرق[1] ؟

فقلت : اجل

---

[1] الذى لونه الرماد

فال : هو احسن جمالنا قيادًا واسهلها مشيا، ونحن ثمانية نفر، ذلك مما احسن الصحبة حتى تصل الى مالك

فال الشافعي رضي الله عنه : فقلت : متى ظعنكم ؟

فقالوا :- في وقتنا هذا

فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض واركبوني البعير الذي كانوا وعدوني بركوبه ، قال الشافعي ، رحمة الله عليه . وعلوت على ظهره واخذ القوم في السير واخذت انا في الدرس فختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة ، ختمة بالليل وختمة بالنهار . ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر ، فاتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره . فرأيت مالك بن انس موتزرا ببردة متشحا[1] باخرى وهو يتول . حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر - ويضرب بيده على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت تلك هيبته العظيمة ، وجلست حيث انتهى بي المجلس ، فاخذت عودا من الارض فجعلت كلما املى مالك حديثا كتبته بين يدي على بدي ومالك ينظر الي من حيث لا اعلم حتى انقضى المجلس وجلس مالك ينتظر العشاء المغرب ولم يرني انصرفت فيمن انصرف

---

[1] اتشح بثوبه لبسه او ادخله تحت ابطه فالقاه على منكبه

فاشار الى بيده . فدنوت منه فنظر الى ساعة ثم قال لى :

- احرمي انت ؟

قلت :- وقُرَشى

فقال : كملت صفاتك ، فلم رايتك سئ الأدب ؟

فقلت : وما الذى رأيت من سوء أدبى ؟

فقال : رأيتك واناا ملى الالفاظ لرسول الله ﷺ وانت تلعب بريقك على يدك :-

فقلت : عدم الورق ، وكنت اكتب ما تقول

فجذب مالك يدى فقال : مالى لا ارى عليها شيئا

فقلت : ان الريق لا يثبت على اليد ، ولكن قد وعيتُ جميع ما حدثت به منذ وقت جلست الى حين قطعت

فعجب مالك من ذلك فقال : اعد على ولو حديثا واحدًا فقال الشافعى رحمه الله فقلت : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر - واشرت بيدى الى القبر كما شاهدته - عن النبى ﷺ حتى اعدت عليه خمسة وعشرين حديثا لحدث بها من وقت جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص وصلى مالك المغرب فاقبل على عبده فقال

- خذ بيد سيدك اليك

القرص الشمس عينها وسقط اى غرب

وسألني النهوض معه قال الشافعي رضي الله عنه فهممت غير ممتنع الى ما دعا من كرامة. فلما انتهيت الدار دخل الغلام الى مخدّع (١) و قال لي!

- القبلة من البيت هكذا، هذا اناء فيه ماء، وهذا الخلاء من الدار (واشار اليه)

قال الشافعي رضي الله عنه فما لبث مالك غير بعيد حتى اقبل والغلام حامل طبقا فوضعه من يده، وسلم على مالك ثم قال للعبد:

- اغسل علينا

فوثب الغلام الى الاناء واراد ان يغسل عليّ اولا، فصاح عليه مالك وقال:

- في اول الطعام لرب البيت، وفي آخر الطعام للضيف

قال الشافعي رضي الله عنه: فاستحسنت ذلك من مالك، و سألته عن ذلك فقال:

- انه يدعو الناس الى طعامه فحكمه ان يبتدئ بالغسل، وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه

قال الشافعي رضي الله عنه: وكشف مالك الطبق وكان فيه صحفتان في احداهما لبن وفي الاخرى تمر، فسمّى وسميت، قال الشافعي: فاتيت

---

(١) المخدع والمُخدع بكسر الميم وضمها بيت داخل البيت الكبير

انا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى :

- يا اباعبد الله هذا جهد من مقل . انى فقير معدم

فقلت : لا عذر على من احسن ، انما العذر على من اساء

قال الشافعى : فاقبل مالك يسألنى عن اهل مكة حتى دنا العشاء الآخرة ثم قال :

- حكم المسافر ان يحمل نفسه بالاضطجاع

قال الشافعى فنمت ليلتى ، فلما كان فى الثلث الاخير من الليل عند انفجار الصبح قرع مالك على الباب ، فأقرعت فقال لى

- الصلاة يرحمك الله

فرأيته حاملا إناء فيه ماء ليسبغ على ذلك ، فقال لى

- لا يرعك ما رأيت منى ، فخدمة الضيف فرض

قال الشافعى رضى الله عنه : فتجهزت للصلوة وصليت الفجر مع مالك بن انس فى مسجد رسول الله ﷺ والناس لا يعرف بعضهم بعضا من الغلس ، وجلس كل واحد منا فى مصلاه نسبح الله الى ان طلعت الشمس على رؤس الجبال كالعمائم على رؤس الرجال . فصلى كل امرئ منا ما قسم له ثم جلس فى مجلسه بالامس ونا ولنى المؤطا

---

(١) ظلمة آخر الليل

امليه واقرأه على الناس وهم يكتبون ، قال الشافعي رضي الله عنه :-
فاتيت على حفظه من اوله الى آخره من القراءة واقمت ضيف
مالك ثمانية اشهر ، فما علم احدٌ من الناس الذى كان بيننا اتينا الضيف
ثم قدم على مالك المصريون بعد قضائهم زائرين لنبيهم و تسمعوا
الموطأ ، قال الشافعي رضي الله عنه فاماليه عليهم محفظا ، منهم
عبد الله بن عبد الحكم واشهب وابن القاسم — قال الربيع : واحسب
انه ذكر الليث بن سعد — ثم قدم بعد ذلك اهل العراق زائرين لنبيهم
قال الشافعي رضي الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف
الثوب حسن الصلوة ، فتوسمت فيه خيرا ، فسالته عن اسمه فاخبرني
وسالته عن بلده فقال : فى العراق
قال الشافعي رضي الله عنه : فقلت :- أى العراق
قال : الكوفة -
فقلت :- من العالم فيها والمتكلم فى نص كتاب الله والمفتى
باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال :- محمد بن الحسن وابو يوسف صاحبا ابى حنيفة رضي الله عنه
قال الشافعي — وقلت : ومتى عزمتم تظعنون ؟
فقال : فى غداة غد عند انفجار الفجر

---

(١) طلعة الخر الفيل (٢) نوسم التوسم تفرسه توسم فيه الخير تبين ولحظ فيه اثره

فعدت الى مالك فقلت له : قد خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود اليها أو ارحل ؟ وفى طلب العلم فائدة يرجع منها الى عائدة

فقال : المتعلم بان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ؟

قال الشافعى رضى الله عنه . فلما ازمعت[1] السفر زودنى مالك من اقط وصاع من شعير وصاع من تمر وسقاء فيه ماء ، فلما كان فى السحر وانفجر الفجر حمل بعض الاداوة وسار معى الى البقيع ، فصاح بعلو صوته من معه كراء راحلة الى الكوفة ؟

فاقبلت عليه وقلت له : بم تكترى ولا شئ معك ولا شئ معى

فقال لى : انصرفت البارحة عنك ، وبعد العشاء الآخرة فرغ على فارغ الباب فخرجت اليه فاسبت ابن العاصم فسالنى قبول هدية ففضلتها ، فدفع الى صرة فيها مائة مثقال ، وقد اتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى

فاكترى لى باربعة دنانير ودفع الى باقى الدنانير وودعنى وانصرف[2] ،

---

(١) عزمت عليه (٢) المجيب (٣) رحله الاستاذ الشافعى

رسالة استعطاف للسيدة زبيدة الى المأمون ابن الرشيد بعد قتل ابنها الامين

كل ذنب يا امير المؤمنين وان عظم صغير فى جنب عفوك وكل زلل وان جل حقير عند صفحك وذلك الذى عودك الله فاطال مدتك وتمم نعمتك وادام بك الخير ورفع بك الشر، هذه رقعة الوالهة(١) التى ترجوك فى الحيوة لنوائب الدهر وفى الممات لجميل الذكر فان رأيت ان ترحم ضعفى واستكانتى وقلة حيلتى وان تصل رحمى وتحتسب فيها جعلك الله له طالبا وفيه راغبا فافعل وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعى اليك

[عصر المأمون]

---

(١) ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن ابى جعفر المنصور العباسى وهى امالامين محمد بن الرشيد المرأة الفاضلة العربقة فى المجد والشرف صاحبة معروف كثير وحسنات على المسلمين و اليها نسب نهر زبيدة توفيت سنة ٢١٦ هـ ورسالتها هذه تعبر عن حزن عميق مع احترام لاثبت لسدة الخلافة ومعرفة دقيقة للآداب السلطانية وهى مثال بليغ للانشاء والتعبير فى مثل هذا الموقف المحرج والمناخ النفسية

---

(٢) والد الرجل حزين ثكيل حتى كاد يفقد عقله

جواب المواساة للمامون[1]

وصلت رقعتك يا أمّاه احاطك الله وتولاك بالرعاية و
وقفت عليها وساءني ـــــ شهد الله ـــــ جميع ما اوضحت فيها لكن
إلافدار نافذة والاحكام جارية والامور متصرفة والمخلوقون فى قبضتها
لا يصدرون على دفاعها والدنيا كلها الى شتات وكل حى الى ممات
والعمر والبقى حتفه الانسان والمكر راجع الى صاحبه، وقد أمرت
برد جميع ما اخذ لك ولم تفقدى ممن مضى الى رحمة الله الا وجهه
وما بعد ذلك لك على اكثر متلتخارين والسلام

[عصر المامون]

---

[1] هو ابو العباس عبد الله المامون بن هارون الرشيد ولد سنة ١٧٠ هـ وتوفى
سنة ٢١٨ هـ كان من مفاخر بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما . جمعت له فضائل
المشتركة وحباه الله علما واهله كان جوادا سمحا سياسيا . يا حسن الروح حلو الشمائل
احواله هذا جواب مواساة ويرجع بها عبرة الملوك ورالامراء وحلاوة التعزية
وتنس مرارة العتاب

بخيل حكيم للجاحظ

قال محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكندي اكثر من سنة تزوج له الكرماء وتقاضى له الحوائج وتفى له بالشرط قلت قد فهمت ترويج الكرماء وتقاضى الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط قال فى شرطه على السكان ان يكون له رؤوس الماشية وبعر الشاة وقشور العلوفة[٢] وان لا يخرجوا عظم ولا يخرجوا كساحة[٣] وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان والخرزة[٤] كل قدر تطبخ للجيران فى بيته وكان فى ذلك يتنزل عليهم فكان ذو لطيبه وافراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك. قال محمد فبينه

---

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ولد بالبصرة ونشأ بها وتخرج فى جميع الفنون الا ... فى عصره وصرف بها فسحة عمره ودفن بالبصرة وجمع وكتب وأسل وانشأ

كان ذو سم الخلقة لطيف الروح ذكى الفؤاد فكه المحاضرة اما الصدر ... حتى ... اما الكتابة فهو فيها ما وضع العرب وامام الصناعة صاحب اسلوب خاص ... ... ويكاد يكون خاتمة عظماء كتاباته ابن العميد لقد العبارة وحز التعبير ... وقد ابى للجملة الى القراء بكثيرة مقتضاة او موسلة وزيادة الاطناب فى ... والجدل والاستطراد وممزج الجد والهزل وتحكيم العقل والمنطق ... المحمل الدقائق وبعد ذلك كله تصويرا لمجتمع الذى يعيش الكاتب فيه وبيان اخلاق اهل العصر وعوائدهم. هذه ميزة الجاحظ لا يتاركه فيها احد تربو مؤلفاته على مائتى كتاب من اشهرها كتاب البيان والتبيين وهو من اصول الادب وامهات الكتب كما قال ابن خلدون. كتاب الحيوان وكتاب البخلاء ورسائل. توفى سنة ٢٥٥ هـ

(٢) ما ينتثر مما يأكله الدواب من العلف (٣) الكساحة الكناسة

اناكذلك اذقدم ابن عمر لى ومعه ابن له اذا رقعة منه قدجاء فيها ان كان مقام هذين القادمين ليلة اوليلتين احتملنا ذلك وان كان اطماع السكان فى الليلة الواحدة يجر علينا الطمع فى الليالى الكثيرة فكتبت اليه ليس مقامهما عندنا الاشهرا اونحوه فكتب الى ان دارك بثلاثين درهما وانت مستة لكل راس خمسة فاذا قد زدت رجلين فلا بد من زيادة خمستين فالدار عليك من يومك هذا باربعين فكتبت اليه وما يضرك من مقامهما وثقل ابدانهما على الارض التى تحمل الجبال وثقل مؤنتهما علىّ دونك فاكتب الى بعذرك لاعرفه ولم ادر انى اهجم على ما هجمت وانى اقبح منه فيما وقعت فكتب الىّ الخصال التى تدعوا الى ذلك كثيرة وهى قائمة معروفة من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما فى تنقيتها.

من شدة المؤنة ومن ذلك ان الاقدام اذا كثرت كثر المشى على ظهور السطوح المطينة وعلى ارض البيوت المجصصة والصعود على الدرج الكثيرة فينتشر لذلك الطين وينقلع الجص وينكسر العتب مع انثناء الاجذاع لكثرة الوطء وتكسرها لفرط الثقل واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تمشعث الابواب وتقلعت الرزات

---

(١) البالوعة ثقب او قناة فى وسط الدار مثلا يجرى فيها الماء الوسخ والاقذار

(٢) جمع عتبة اسكفة الباب او العليا من الاسكفتين وكل مرقاة من الدرج

(٣) الرزة حديدة يدخل فيها القفل ونحوه

واذا كثر الصبيان وتضاعفت البؤس نزعت مسامير الابواب وقلعت كل ضبّة(١) ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة وحفر فيها أبار الدُّدن(٢) وهشموا بلاطها بالمعاحي(٣) هذا مع تخريب الحيطان بالاوتاد وخشب الرفوف(٤) واذا كثر العيال والزوار والضيفان والنساء احتيج من صب الماء واتخاذ الجبّة(٥) القاطرة والجرار الراشحة الى اضعاف ما كانوا عليه فكم من حائط قد تاكّل(٦) اسفله وتناثر اعلاه واسترخى اساسه وتداعى بنيانه من قطر حب ورشح جرّ ومن فضل ماء البرّ ومن سوء التدبير وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز والطبيخ ومن الوقود والتسخين والنار لا تبقى ولا تذر والرحا الدور حلب لها وكل شئ فيها من متاع فهو اكل لها فكم من حريق دناق على اصل الغلة فكلفتم اهلها اغلاظ النفقة وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال وربما تعدت تلك الجناية الى دور الجيران والى مجاورة الابدان والاموال فلو ترك الناس حينئذ رب الدار وقدر بليته ومقدار مصيبته لكان عسى ذلك ان يكون محتملا ولكنهم يتشاءمون به ولا يزالون يستثقلون ذكره ويكثرون من لائمته وتعنيفه ثم مع ذلك يتخذون المطابخ في العلالي(٧) على ظهور السطوح

---

(١) الضبة حديدة او خشبة عريضة يضبّ بها الباب (٢) الدُّدن الصب (٣) البلاط الارض المسوية بالماء والحجارة التي تفرش بها الارض (٤) جمع مدعاة الترية تعمل بها النباؤس لتسوية الارض (٥) خشبة او نحوها تمتد الى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت (٦) جمع الحب بضم الحاء الجرة الكبيرة او الخابية (٧) تاكل السن اذا اسود صار منثورًا (٨) جمع علّية وعلية بيت منفصل عن الارض ببيت ونحوه -

وان كان في ارض الدار نضل وفي صحنها متسع مع ما في ذلك من الخطر بالانفس والتعزير بالاموال وتعرض الحرم لمبيتة الحريق لاهل الفساد و يجوهم مع ذلك على سر مكتوم وخبئ مستور من ضيف مستخف ورب دار مستوار ومن شراب مكروه ومن كتائب مهم ومن مال جمع ليعد دفنه فاعجل الحريق اهله عن ذلك فيه ومن حالات كثيرة وامور لايحب الناس ان يعرفوها تاثر لا ينصبون التنانير ولا يكنون للعقد ور الاعلى متن السطح حيث ليس بينها وبين التصب والخشب الا الطين الرقيق والشيء لا يبقى هذا مع خفة المؤنة في احكامها ومن الغلوب من المتالف لسبها فان كنتم تنقدمون على ذلك منا ومنكم وانتم ذاكرون فهذا عجب وان كنتم لم تخلفوا بما عليكم في اموالنا ونسيتم ما عليكم في اموالكم فهذا العجب ثم ان كثيرا منكم يدافع بالكراء و يماطل بالاداء حتى اذا جمعت اشهر عليه فرو خلى اربابها جياعا يتندمون على ما كان من حسن تقاضيهم واحسانهم فكان جزاؤهم وشكرهم اقتطاع حقوقهم والذهاب باقواتهم ويسكنها الساكن حين يسكنها و كنسناها[1] ونظفناها للحسن في عين المستأجر ولير غب فيها الناظر فاذا خرج ترك فيها من بلة[2] وخرابا لا تصلحه الا النفقة الموجعة ثم لا يدع مترسا[3] الا سرقه ولا سلما الا حمله ولا نقضا الا اخذه ولا بُرادة[4]

---

(١) كنسنا ونظفنا (٢) موضع الزبل وهو الرجين (٣) المترس خشبة توضع خلف الباب لتدعمه (٤) ما سقط من الحديد ونحوه عند البرد

الامضى بما معه ولا يدع دق الثوب والدق فى الهاون[1] والمنجاز فى ارض الدار ويدق على الاجذاع والحواضن والرواشن[2] وان كانت الدار مقرمدة[3] او بالاجر مفروشة وتد كان صاحبها جعل فى ناحية منها صخرة ليكون الدق عليها ولتكون واقية دونها دعاهم التهاون والقسوة والغش والغفلة[4] الى ان يدقوا حيث جلسوا والى ان لا يحفلوا بما افسد والمربعط قط لذلك ارشا[5] ولا استحل صاحب الدار ولا استغفر الله منه فى الرشم ويستكثر من نفسه فى السنة اخراج عشرة دراهم ولا يستكثر من رحب الدار الف دينار فى الشراء يذكر ما يصير اليه من قلته ولا يذكر ما يصير اليه مع كثرته هذا والايام التى تنقض المبرم وتبلى الجدة وتفرق الجمع المجتمع عاملة فى الدهر كما تعمل فى المحسوس وتأخذ من المنازل كما تأخذ من كل رطب ويابس وكما تجعل الرطب يابسا هشيما والهشيم مضمحلا ولا تحدام المنازل غاية قريبة ومدة قصيرة ، والساكن فيها هو كان المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى ابلى جدتها وتعلاها وبه هرمت وذهب عمرها السوء تدبيره فاذا قسمنا الغرم عند انهدامها باعادتها

---

(١) ما يدق فيه الدواء وغيره (٢) الرشن الكوة ج رواشن

(٣) تمهيد الارض طلاها بالجص او الخزف المطبوخ (٤) الغفلة التقصير فى العلم وعدم المروءة (٥) الارش الدية

وبعد ابتدائها وعزم ما بين ذلك من مرمتها واصلاحها ثم قابلنا بذلك ما اخذنا من غلاتها وارتفقنا به من اكرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح الا أن الدراهم التي اخرجناها من النفقة كانت جملة والتي اخذناها على جهة الغلة جاءت مقطعة وهذا مع سوء القضاء والاحواج الى طول الاقتضاء ومع بغض الساكن للمسكن وحب المسكن للساكن لان المسكن يحب صحة بدن الساكن ونفاق سوقه ان كان تاجرا وتحرك صناعته ان كان صانعا ومحبة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيفما شاء ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بحبس وان شاء بموت ومدار مناه ان يشغله عنه ثم لا يبالي كيف كان ذلك الشغل الا انه كلما كان أشد كان احب اليه وكان اجدر ان يأمن واخذ لان ليسكن وعلى انه فترت سوقه او كسدت صناعته الجأ في طلب التخفيف من اصل الغلة والحطيطة منها حصل عليه من الاجرة وعلى انه ان اتاه الله بالارباح في تجارته والنفاق في صناعته لم يزد فيها قيراطا في ضريبته ولا ان يعجل فلسا قبل وقته[1]

---

(١) كتاب البخلاء للجاحظ

رسالة استعطاف له

ليس عندي اعزك الله سبب ولا اقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل[1] الذي لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول، وارجوان تكون من الفائزين، فتكون خيبة المتعب[2]، واكون افضل شاكر، ولعل الله يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام، ..... وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت احتجتكم، فيكون لا اعظم بركة، ولا أنمى بقية من ذنب اصبحت فيه، وبمثالك جعلت ذلك. عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة، ومثالك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما.

من عاتب فقد اخذ حظه، وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر، وارجو ما لا اضيع فيما بين كرمك وعقلك وما اكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حرمته، وانما الفضل والثناء، العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة، وان كان العفو عظيما مستطرفا من غيركم فهو تلاد[3] فيكم، حتى

---

(١) الرجاء (٢) مما يتولد عن حسن الظن (٣) من يعطي العتبى اي الرضا

(٤) حادثا عنه غيركم ذخيرا لذكر

ربما دعا ذلك كثيراً من الناس الى مخالفة امركم، فلا انتم عن ذلك تذكلون، ولا عن سالف احسانكم تندمون، وما مثلكم الا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يسمع بالأمر من بني اسرائيل الا اسمعوه شراً واسمعهم خيراً فقال له شمعون الصفا ما رأيت كاليوم كلما اسمعوك شراً اسمعتهم خيراً، فقال: كل امرئ ينفق مما عنده، وليس عندكم الا الخير، ولا في اوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذي فيه ينضح

(الرسائل للجاحظ)

القميص الاحمر لابن عبد ربه[1]

بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فجزع المنصور فجلس بناحية من المسجد وارسل الى الربيع فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الارض وما الذي يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت[2]

---

(١) ٢٤٦ — ٣٢٨ هو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاموي بالولاء من كبار كتاب الاندلس والمولدين الادب وكتابه العقد الفريد (القميص الاحمر ماخوذ منه) من كتب التاريخ والادب الجليلة المتممة تجمع علما كثيرا

(٢) ملأت

مسامعي ما امير فضني فقال ان امنتني يا امير المومنين اعلمتك بالامور من اصولها ولا احتجرت[1] منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل قال فأنت آمن على نفسك فقال فقال يا امير المومنين ان الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر في الارض من الفساد والبغي لانت فقال فكيف ذلك ويحك يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء[2] في قبضتي والحلو والحامض عندي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك ان الله استرعاك امر عباده واموالهم فاغفلت امورهم و اهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك عنهم فيها وبعثت عمالك في جبايات الاموال وجبيها وامرت ان لا يدخل عليك احد من الرجال الا فلان وفلان نفر اسميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري اليك ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رأك هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا دونك تحبى الاموال وتجمعها قالوا هذا فتى خان الله فما لنا لا نخونه فاشتمروا ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس شئ الا ما اراد وا ولا يخرج لك عامل الا خوّنوه عندك ونفوه

---

(١) انعزلت عنك وحبست ما عندي عنك

(٢) الذهب والفضة

حتى تبقط منزلته عندك فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم
الناس وهابوهم وصانعوهم فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا
والاموال ليتقوا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو المقدرة و
الثروة من رعيتك ليتأثلوا الظلم من دونهم فامتلأت بلادك بالطمع كلها
وبغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل
فان جاء متظلم الى بابك وبيعته فان اراد رفع قصته اليك
عند ظهورك وجدك قد نميت عن ذلك وأوقفت الناس رجلا
ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره سألوا
صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته اليك فلا يزال المظلوم يختلف اليه
ويلوذ به ويشكوا ويستغيث وهو يدفعه فاذا اجهد واخرج ثم
ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا فيكون نكالا لغيره
وانت تنظر فما انكر فسابقاء الاسلام وقد كنت يا امير المؤمنين
اسافر الى الصين فعد منها مرة وقد اصيب ملكهم بسهم
فبكى يوما بكاء شديدا فخشه جلساؤه على البصر فقال اما اني
لست ابكي للدنية النازلة ولكني ابكي للمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمع صوته ثم قال اما اذ قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب
نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم فكان يركب الفيل

---

١٠ تظلم شكا من الظلم .

طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا يا امير المؤمنين مشرك بالله بلغت رافته بالمشركين هذا المبلغ وانت مؤمن بالله من اهل بيت نبيه لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد اراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن امه ماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له ولست الذي تعطي بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء فان قلت انما اجمع المال لشدة يد السلطان فقد اراك الله عبرا في بني امية ما اغنى عنهم جمعهم من الذهب وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع[1] حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما تجمع المال تطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة ما تدرك الا بخلاف ما انت عليه يا امير المؤمنين هل يعاقب من عصاك باشد من القتل فعال النصور لا فقال فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الاليم قد رأى ما عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظرت اليه بصرك و اجترحته يداك ومشت اليه رجلاك هل يغني عنك ما شحت

---

[1] الكراع بضم الكاف اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير

عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب
قال فبكى المنصور ثم قال ليتني لم اخلق ويحك كيف احتال لنفسي
فقال يا امير المومنين ان للناس اعلاما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون
بحكمهم في دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم في امرك
يسددوك قال بعثت اليهم فحربوا منى قال خافوك ان تحملهم على
طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفيء والصدقات على حلها واقسمها بالحق والعدل
على اهلها وانا ضامن عنهم ان ياتوك يساعدوك على صلاح
الامة وجاء المؤذنون فاذنوه بالصلاة فصلى وعاد الى مجلسه
وطلب الرجل فلم يوجد ،

[العقد الفريد لابن عبد ربه]

اطيب طعام واشعر بيت لابي الفرج الاصبهاني

صنع عبد الملك بن مروان طعاما فاكثروا طيبه ودعا

---

(١) هو ابو الفرج علي بن الحسين الاموي العلامة الكاتب صاحب كتاب الاغاني كان اخباريا نسابة شاعرا وكتاب الاغاني
مجموعة من محاسن الادب العربي ودواوين اشتمل على علوم وآداب وافرة لا مبعث نواح لغة العربية جميعا . مطروح على ظهرها
والحرمان تلك اللغة الرقيقة السذجة التي كان يكلم بها اهل البدو في منازلهم والعلماء اشدهم وبها تراجم انفسهم ظهر وقد وقع
الاتفاق على ان ابا فرج اصبهاني في بابه متله قال الصاحب بن عباد لقد استغلت خزائن على ما تزالف وسبعين عشر الف
مجلد ما فيها مثيرة غيره وكان يتعصب في استعاره حمل ثلاثين جملا من كتب الادب فلما وصل اليه هلك قال
لو كان بعد ذلك يتعصب غيره لاستعنا شرعها توفي سنة ٣٥٦ هـ ببغداد

اليه الناس فاكلوا ، فقال بعضهم : ما اطيب هذا الطعام ، ما نرى
ان احدا رأى اكثر منه ولا اكل اطيب منه ، فقال اعرابي من
ناحية القوم امّا اكثر فلا ، واما اطيب فقد والله اكلت اطيب
منه ، وطفقوا يضحكون من قوله فاشار اليه عبد الملك فادنى
منه فقال : ما انت بحق فيما تقول الا ان تخ ، يا بين به صدقك
فقال : نعم يا امير المؤمنين بينما انا بحجر في ترب احمر في اقصى حجر اذ
توفي ابي وترك كلا وعيالا وكان له نخل فكانت فيه نخلة
لم ينظر الناظرون الى مثلها كان ثمرها اخفاف الرباع لم ير ثمر قط اغلظ
ولا اصلب ولا اصفر منوى ولا احلى حلاوة منها وكانت ثطرقها اتان
وحشية قد الفتها ثاوى الليل تحتها ، فكانت تثبت رجليها في اصلها
وترفع يديها وتعطو بفيها فلا تترك فيها الا النيذ والمتفرق فاعظفي
ذلك ووقع مني كل موقع ، فانطلقت بقوسي وامهمي وانا اظن
اني ارجع من ساعتي ، فمكثت يوما وليلا لا اراها حتى كان السحر
اقبلت فتهيأت لها فرشقتها فاصبتها واجهزت عليها ، ثم عمدت

---

(١) بكسر الراء جمع ربع بضم الراء وفتح الباء وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو اول
النتاج شبه الشعر في نعومته ولينه باخفاف (جمع خف) وهي صلان الابل التي تولد
في فصل الربيع وهي من اشهر اولاد الناقة ترجمادا اليها الحنا (٢) عطا بيطو على وانا وله (٣) يشقه
بالسهم رماه (٤) اجهز على الجريح قتله عليه تام قتله

الى سرتها، فافرغتها[1] ثم عمدت الى حطب جزل[2] فجمعته الى رضف[3] و عمدت الى زندى فقدحت واضرمت النار فى ذلك الحطب والقيت سرتها فيها، وادركنى نوم السبات فلم يوقظنى الا حر الشمس فى ظهرى فانطلقت اليها فكشفتها والقيت ما عليها من قذى او سواد او رماد، ثم قلبت[4] مثل الدلاة[5] البيضاء فالقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة[6] والمنضفة فمعت لها الطيط[7] آكتدا[8] عامر وغطفان، ثم اقبلت اتناول التمة واللحمة فاضعها بين التمرتين واهوى الى فمى احلف انى ما اكلت طعاما[9] مثله قط، فقال له عبد الملك لقد اكلت طعاما طيبا فمن انت، قال، انا رجل جابت[10] عينه تميم واسد وكسكسة[11] ربيعة وحوشى[12] اهل اليمن وان كنت منهم، فقال: من ايهم انت، قال: من اخوالك من عذرة قال، اولئك فصحاء الناس فهل لك علم بالشعر قال: سلنى عما بدا لك يا امير المؤمنين، قال اى بيت قالته العرب امدح، قال: قول جرير

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

(قال) وجرير فى القوم فرفع راسه وتطاول لها، ثم قال: فاى بيت قالته العرب اهجى قال: قول جرير

---

(١) افرغ الشئ قطعه وشقه واصلحه (٢) الجزل الغليظ العظيم (٣) الرضف الحجارة المحماة و واحدها رضفة (٤) الدلاة ثوب يلبس على الخدين والربطة ذات نفتين (٥) جزع الشئ قطعه (٦) عنى لفظ المجزعة كالمعين (٧) الكسكسة الحان كانت المونث سينا عند الوقف نحو كبس وكرمتكس فى بك وكرمتك (٨) الحوشى من الكلام الوحشى الغريب

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

(قال) فتحرك، ثم قال له فاى بيت اعجبك، قال: قول جرير

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قال) فاستشرف لها جرير واهتز وطرب، ثم قال له: فاى بيت قالته العرب احسن تشبيها، قال: قول جرير

سرى نحوهم ليل كان نجومه قنا ديل فيون الذبال المفتل[1]

فقال جرير: جائزتى للعذرى يا امير المومنين، فقال عبد الملك: وله مثلها من بيت المال ولك جائزتك يا جرير لا تنقص منها شيئا، وكانت جائزة جرير اربعة الاف درهم وتوابعها من الحملان[2] والكسوة، فخرج العذرى وفى يده اليمنى ثمانية الاف درهم وفى اليسرى رزمة[3] ثياب

[كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى]

عبد الله بن جعفر[4] وطويس[5]

حدث المدائنى قال: كان عبد الله بن جعفر معه اخوان له فى

---

(1) جمع ذبالة وهى الفتيلة شبه الجيش بليل ورماحهم التى كانها نجوم بقنا ديل ذات الفتائل المفتلة وهى اجودها وانوارها، (2) الحملان ما يحمل عليه من الدواب فى السفر خاصة (3) الرزمة من كل الوان الثياب وغيرها ما جمع وشد مثل عمامة ونحوها

(4) عبد الله بن جعفر بن ابى طالب احد سراة بنى هاشم وفتيانها شهد واعبان مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى عهد جماعة واحد اجواد العرب الذى يعترف الاسلام كان وصف الخلق، عذب الشمائل، رفيق الذوق محظوظا بالنعيم (5) اسمه عيسى بن عبد الله وكنيته ابو عبد المنعم وطويس لقب عليه مولى بنى مخزوم كان من المبرزين فى الغناء المجيدين فيه ومن يضرب به فيه الامثال وهو الذى يضرب به المثل فى النوم للاتفاقات التى اتفقت له توفى سنة ٩٠ هـ

عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بطرجود[1] فانسال كل شيء: فقال عبد الله: هل لكم في العقيق، وهو منتزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر، فركبوا دوابهم، ثم اتوها اليه فوقفوا على شاطئه وهو يجري بالزبد مثل مد الفرات، فاقاموا لينظروا اذا هاجت السماء، فقال عبد الله لاصحابه: ليس معناجنة فتجنوا بها وهذه سماء خليقة ان تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: جعلت فداءك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذلك فانه سليم خفيف لنا فيه انس، فلما استوى طويس كلامهم تعجل الى منزله فقال لامرأته: ويحك قد جاء ناعبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندك، قالت: نذبح هذه العناق[2] وكانت عندها عُنيقة قد ربَّتْها باللبن واختبز خبيزا رقاقا، فبادر فذبحها وعجنت هي ثم خرج فتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس: بابي انت وامي هذا المطر فهل لك في المنزل فتستكن فيه الى ان تَكُفّ[3] السماء، قال: اياك اريد، قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا

---

(١) المطر الجود بفتح الجيم المطر الغزير (٢) الانثى من اولاد المعز قبل استكمالها السنة ج اعنق وعنوق (٣) ينقطع المطر

حتى ادرك الطعام، فقال : بابى انت وامى تكرمنى اذ دخلت منزلى بان تعشى عندى، قال : هات ماعندك فجاءه بعناق سمينة ورقاق، فاكل واكل القوم حتى تملا وافاعجبه طيب طعامه فلما غسلوا ايديهم قال : بابى انت وامى اتمشى معك واغنيك، قال : افعل يا طويس فاخذ ملحفة فاتزر بها وارخى لها ذنبين ثم اخذ المربع[1] فتمشى وانشأ يغنى :

ياخليلى ذا بنى سعدى لم تنم عينى ولم تكد

فطرب القوم وقالوا : احسنت والله يا طويس

ثم قال : يا سيدى اتدرى لمن هذا الشعر ؟

قال : لا والله ما ادرى لمن هو، الا انى سمعت شعرًا حسنًا،

قال : هو لقارعة بنت ثابت اخت حسان بن ثابت فى عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى .

فنكس القوم رؤسهم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو سنقت الارض له لدخل فيها خالدًا

---

(١) المربع آلة من آلات الطرب

كتابٌ ينوبُ عن كتائب

رسالة لابن العميد[1] الى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة

كتابي وانا مترجِّحٌ بين طمع فيك ويأس منك واقبالٍ عليك واعراض عنك فانك تُدِلّ[2] يا ابن حرمة، وتمت[3] بالغت بخدمة اليهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما لحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وادنى ذلك يحبط اعمالك، ويحقق كل ما يرمي لك لاجرم انى وقفت بين ميل

---

(١) هو الاستاذ الرئيس محمد بن الحسن المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه كان فارسي الاصل من اهل مدينة قم نشأ على الادب ونقفت الكتابة ومارسها وتوسع في العلوم حتى لقب بالجاحظ الثاني

كان واسع الادب والشعر، موسيا للادباء والشعراء، مجمعا علميًا عامرًا سلمت رئاسته في الادب والكتابة وضعف الناس بارباحتي والوا " بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"

الا ان كتابته كتابة صناعة وتكلف وتأنق وزخرف لا روح فيها ولا حياة وهي اشبه بالوشي والطراز منها بالادب والكتابة ولكن تصوفه في هذه الصناعة ونفرده في صوب الرسائل مما لا يدفع وذلك سوسعه في فنون الكلام وطول مارسته بحكم منصبه وشغله

ولعل يمينه لم تحفظ باحسن من هذه الرسالة التي وجهها الى ابن بلكا قال الثعالبي في يتيمة الدهر "وقد اجمع اهل البصيرة في الترسل على ان رسالته التي كتبها الى ابن بلكا وهو يتبدد ويتقصد على ركن الدولة فترة كلامه و واسطة عقده (٣) اهل عليها ولا اوثق بحمد نمرقا فوق عليه واجرأ

(٢) من ادلى فلان بقل به وصل اليه وتوسل

اليك ، وميل عليك ، اقدم رجلا تصدمك ، واوخر اخرى عن قصدك ، وابسط يدًا لاصطلامك[1] واجتياحك ، واثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، واتوقف عن امتثال بعض المأمور لميلك ضنًّا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب العقل ثم يؤوب ويغرب[2] اللب ثم يثوب[3] ويذهب الحزم ثم يعود ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الراى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة الى رخاء ، وكل غمرة فالى انجلاء ، وكما انك اتيت من اساءتك بما لم تحتسبه او لياؤك فلا بدع ان تاتى من احسانك ، بما لم ترتقبه اعداؤك ، وكما استمرت بك اوهدلة حتى ركبت ما ركبت واخترت ما اخترت فلا عجب ان تنبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما اثرت ، وساقيم على رسمى فى الابقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء[4] والمطاولة[5] ما امكن ، طمعًا فى اوابتك ، وتحكيما لحسن الظن بك ، فلست اعدم فيما اظاهره من اعذار ، واراد فيه من انذار ، احتجاجًا عليك واستدراجًا[6] لك فان يشاء الله

---

(١) صلمه واصطلمه استأصله وكذلك الاجتياح

(٢) يغرب يبعد ويغيب

(٣) يثوب يرجع (٤) التمهل (٥) طاوله مطاولة ماطله

(٦) استدرجه الى كذا قربه اليه رقاه من درجة الى درجة

يرشدك ويأخذ بك الى حظك ويسددك، فانه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير،

. . . . . وزعمت انك فى طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها، واذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها، وحلبت شطريها فنشدتك الله لما صدقت عما سالتك، كيف وجدت ما زلت عنه و كيف تجد ما صرت اليه، المرتكن من الاول فى ظل ظليل، ونسيم عليل وريح بليل، وهواء غدق، وماء روىّ ومهادٍ وطئ وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان، عززت به بعد الذلة وكثرت بعد القلة، وارتفعت بعد الضعة، واريبت بعد العسرة، واثريت بعد المتربة[1] واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات وخفقت فوقك الرايات ووطئ عقبك[2] الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر[3] ويكاثر بك، وتشير ويشار اليك، ويذكر على المنابر اسمك وفى المحاضر ذكرك، فغير الآن انت من الامر، وما العوض عما مددت والخلف مما وصفت، وما استفدت حين اخرجت من الطاعة نفسك ونفضت منها كفك، وغمست فى خلافها يدك؛ وما الذى اظلك بعد

---

(١) الفاقة والفقر ويقال مسكين ذو متربة اى لاصق بالارض (٢) يقال وطئ عقبه اى مشى فى اثره (٣) تكاثره غالبه وتفاخره بكثرة المال والعدد

الخسار ظلها عنك، اظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب

قل نعم كذلك! فهو والله اكثف ظلا لك في العاجلة، وارو حها في

الآجلة، ان اقمت على المعايدة والعنود ووقفت على المشاقة والجمود،

تامل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها، والمس

جسدك وانظر هل يحس واجس عرقك هل ينبض[1] وفتش ملحاظ[2] عليك

هل تجد في عرضها قلبك، وهل حلي[3] بصدرك ان تظفر بعنوت

سريح[4] او موت مريح؟ ثم قس غائب امرك بشاهده واخرشانك باوّله[5]!

البحر

رسالة للصاحب ابن عبّاد الى ابن عميد صدّره عن كتاب اليه في وصف البحر

وصل كتاب الاستاذ الرئيس صادرًا عن شط البحر يوصف ما شاهد من عجائبه

---

(١) ينبض ينبغي العرق بحركه وضربه (٢) حنا عليه مال واعطفه (٣) طاب ولذّ (٤) السريح معجل (٥) يتيمة الدهر للثعالبي، قال المؤلف يلخص من ان بكا وكان آدب مثاله انركان يقول والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل الا كما اشار اليه الاستاذ الرئيس (ابن العميد) فاقد تاب كتابه عن الكتاب في عرك ادبي واستصلاحي ورودي الى طاعة صاحبه (يتيمة الدهر ج ٣)

(٦) ٣٢٩ – ٣٨٥ هـ هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد ولد بطالقان من اعمال قزوين وصحب الاستاذ الرئيس ابن العميد شابًا فاشتهر بالصاحب

كان وزيرا لمويد الدولة بن بويه ثم لاخيه فخر الدولة فكان ذا وزارتين وصاحب الدولتين (العلم والامارة) وحائز الحسنيين (الادب والرئاسة) وهو رمز من رموز الادب الحالدة وكان سوقا للادب والشعر يجلب اليها كل طريف، ويرحل اليه كل اديب، يقصده كل شاعر قال الثعالبي احتفت به من نجوم الارض وانواء العصر وابناء الفضل وفرسان النثر من ربى عدد دهر على شعراء الرشيد

اما كتابه تعلق ابن العميد بزيادة في الحلية الصفية وولع بالجمع الجناس حتى قيل فيه اراد رأي تخجل بجوهرها عروة الملك، ويضطرب بحامل الدولة لما هاجت عليه ان تخجل عنها، وهذه الملاطفة وان كانت شديدة ولكنها صادقة فان اكثر كتاب ذلك العصر الى عصورنا هذه

ولعل هذا الكتاب الذي نقدمه اقل رسائله تكلفا واغراقا في الجناس والبديع واكثرها لغة وسلاسة وجمالا قال الثعالبي في يتيمة الدهر كان ابو بكر الخوارزمي يحفظ هذا الكتاب وكثيرًا ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ولم اره يحفظ من الرسائل غيره (اليتيمة ج ٣)

وعاين من مراكبه ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف ارادتها، واستجابة ادواتها لها متى نادتها وركوب الناس اشباحها، والخوف بمرأى ومسمع، والمنون بمرقب ومطلع، والدهر بين اخذ وترك، والارواح بين نجاة وهلك، اذا فكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر، واذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة حُجب اليهم الغرر[1]. وعرفت ما قاله من تمنّيه كونى عند ذلك بحضرته، وحصولى على مساعدته، ومن راى بحر الاستاذ كيف يزخر بالفضل، وتتلاطم فيه امواج الادب والعلم، لم يعتب على الدهر فيما يفيته من منظر البحر، ولا فضيلة له عندى اعظم من اكبار الاستاذ لاحواله واستعظامه لاهواله، كما الاثق ابلغ فى مفاخره وافخر فى جواهره، من وصف الاستاذ له، فانى قرأت منه الماء السلسال لا الزلزال، والبحر الحرام[2] لا الحلال، وقد علم انه كتب ولما اخطر بفكره سعة صدره، فلو فعل ذلك لراى البحر وشلاً[3] لا يفضل عن التبرض[4] وثمداً[5] لا يكثر عن الترشف[6]

وكم من جبال جبت تشهد انك ال
جبال وبحر شاهد انك البحر[7]

---

(١) الغرر المتريص لها هلاك

(٢) السلسال الماء العذب الصفو، والزلزال المتلاطم الصرت كماء البحر (٣) الممنوع على غيره من ان يقتده او يحكيه وان كان حلالاً (٤) الوشل الماء القليل يتحلب من صخر وجبل

(٥) تبرض الماء اخذه قليلا قليلا (٦) الثمد (بسكون الميم وفتحها) الماء القليل يجتمع فى الشتاء ويخصب فى الصيف او الحفرة يجتمع فيها ماء المطر يتماد (٧) ترشف الماء بالفم فى مصه

(٨) بتيمة الدهر للثعالبى

رسالة عتاب

لابي بكر الخوارزمي[1]

كتابي وقد خرجتُ من البلاء خروج السيف من الجلاء وبروز البدر من الظلماء وقد فارقتني الجنة وهي مفارق لا يشتاق اليه وودعتني وهي مودِّع لا يبكى عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجلّيها ونعمة ينيلها ويوليها،

كنت اتوقع امس كتاب سيدي بالتسلية واليوم بالتهنية، فلم يكاتبني في ايام البرحاء بانها اغمته ولا في ايام الرخاء بانها سرّته، وقد اعتذرتُ عنه الى نفسي وجادلت عنه قلبي وقلت، اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بما عن الكلام فيها، واما تغاضله عن الاخرى فلانه احبّ ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء لتكون نخر الله تعالى موقوفة من كل جهة عليّ، ومحفوفة من كل رتبة بي، فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب لي بالاستحسان، وان كنت اسأت فليخبرني بعذره فانه اعرف مني بسرّه وليرض مني بانّي حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي وقلت يا نفس اعذري اخاك وخذي منه ما اعطاك، فمع اليوم غد والعود احمد[2]

---

(١) ٣٢٣ — ٣٨٣ هـ هما ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي اصله من طبرستان ومولده بخوارزم ومنشأها كان من الكتّاب بالادب الذين هاجروا فيرجاهدوا في سبيله، اتصل بسيف الدولة والصاحب بن عباد وعضد الدولة كان لجزًا في الادب راوية لاشعار العرب واخبارها وايامها، نسابة لغويًا واقفا على مناهج كلام العرب وخواص تراكيب اللغة، وكان من طائفة الادباء بالجبر الذين اشتكوا ناصية البيان وتصرفوا في ضروب الكلام بكثرة ما حفظوا وطول ما مارسوا بنير تعلّم سيال، وبيان سلسال، وطبع ريان، وذوق وتبق و رسائله شاهدة بذلك ولذلك مثل ان مساجلته بديع الزمان الهمذاني وهو الادب الفحل مثلا عظيما و وكان ذلك سبب موته. وشرحنا من سيرته مع اخباره في شهر الابرسائله السائرة الطائرة في الآفاق

(٢) رسائل ابي بكر الخوارزمي

المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني[1]

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالبصرة وسمعت ابو الفتح الاسكندري يحث الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة[2] تثنى على الحضارة وتتبرج[3] في القضاة[4] وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة[5] في قصعة يزل عنها الطرف، ويموج فيها الظرف[6]، فلما اخذت من الخوان مكانها،

---

(١) هو بديع زمانه ابو الفضل احمد بن الحسين ولد بهمذان ونشأ بها وتعلم العلم باللغتين الفارسية والعربية ورحل الى الصاحب بن عباد فاستفاد منه وقصد جرجان واقام في اكنات الاسماعيلية و في سنة ٣٨٢ عبر نيسابور فتقلبت فيها عبقريته واصل بها اربعمائة مقامة ثم تصدى لمناظرة ابي بكر الخوارزمي وهو حاصل لواء الادب في عصره فظهر عليه وطار بذلك صيته في الافاق شعر النثر عصاه هجرات وعاش بها الى سنة ٣٩٨

كان البديع نادرة في الذكاء وسرعة الخاطر وحضور البديهة، وقوة الحفظ، كان باقي في الانشاء سوانح ونوادر وهو الذي سبق الى انشاء المقامات ووداعة ترت سعد مه وسبقه الحريري في مقدمة مقاماته ثم البديع من قبيل النثر المنثور اقل تكلفا من مناحريه ومن كثير من معاصريه و متعدد فيه يجمع بين صناعة اللفظ ورشاقة المعنى وجمال الاسلوب ودقة التخيل، وهزله ودعابته تفوق دعابة الحريري واقل منها تكلفا

(٢) المضيرة لحم يطبخ باللبن الضير وهو الحامض (٣) تبرج تحرك وترجرج التي في محمله جاء وذهب (٤) القضاة القضمة (٥) هذا الان معاوية رضي الله عنه كان معروفا في عصره بحسن الذوق وطيب الطعام وتنويعه (٦) انظرت الكياسة والحذق والبراعة

ومن القلوب اوطانها، قام ابو الفتح الاسكندري يلعنها و صاحبها ويمقتها و اكلها، وشيلبها وطانجها، وظننا بمزح فاذا الامر بالضد، واذا المزاح عين الجد، وتنحى عن الخوان، وترك مساعدة الاخوان ورفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت خلفها العيون وتحلبت[1] لها الافواه وقلقت لها الشغاف، واتقدت لها الاكباد، ومضى في إثرها الفؤاد، ولكنا ساعدناه على هجرها، وسالناه عن امرها، فقال: قصتي معها اطول من مسيبتي فيها ولو حدثتكم بها لم آمن المقت واضاعة الوقت. قلنا: هات. قال: دعاني بعض التجار الى مضيرة وانا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم[2] والكلب لاصحاب الرقيم[3] الى ان اجبته اليها وقمنا نجعل طول الطريق يثني على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصف حذقها في صنعتها، وتانقها في طبخها ويقول: يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها، وهي تدور في الدور، من التنور الى القدور، ومن القدور الى التنور، تنفث بفيها النار و تتدفق بيديها الابزار[4]، ولو رأيت الدخان وقد عبر في ذلك الوجه الجميل واثر في ذلك الخد الصقيل لرأيت منظرا تحار فيه العيون، واذا أعشتها الانامة تشقى ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته، وان يسعد بطيبته[5]

---

(١) تحلب سال (٢) تسقط شيء بسبب الطعام في الفم و اخرج لسانه صيح شعبي.

(٣) الغريم صاحب الدين.

(٤) اصحاب الرقيم هم اصحاب الكهف.

(٥) ابزار جمع زر التوابل التي توضع في الطعام (٦) الطيبة في الاصل الحمل وتطلق على ما يدهن به المرء ثم اطلق على المرأة على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه

ولاسيما اذا كانت من طينته ، وهي ابنة عمي لحماً[1] وطينتها طيبة ، ومدينتها مدينتي ، وعمومتها عمومتي ، وأرومتها أرومتي[2] لكنها اوسع مني خلقاً ، وأحسن خلقاً ، وصدعني بصفات زوجته حتى انتهينا الى محلته ، ثم قال : يا مولاي ترى هذه المحلة هي أشرف محال بغداذ يتنافس الاخيار في نزولها ، ويتغاير الكبار في حلولها ، ثم لا يسكنها غير التجار ، وانما المرء بالجار ، وداري في السطة من قلادتها ، والنقطة من دائرتها ، كم تقدر يا مولاي انفق على كل دار منها . قلت له تخميناً ، ان لم تعرفه يقيناً قلت : الكثير ، فقال يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط ، تمتول الكثير فقط ، وتنفض الصعداء[3] وقال : سبحان من يعلم الاشياء وانتهينا الى باب داره ، فقال : هذه داري كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة[4] انفقت والله عليها فوق الطاقة ، ووراء الغاقة ، كيف ترى صنعتها وشكلها ، أرأيت بالله مثلها ، انظر إلى دقائق الصنعة

---

(١) يقال : فلان ابن عمي لحماً اي لاصق

(٢) الارومة الاصل

(٣) تنفض الصعداء اخراج النفس الطويل من هم او تعب

(٤) الطاقة ما عطف من ذنب الدابة اي جعل تحته من عنقه وناقته و ما اشبه ذلك والغاقة ما انطبق عليه

فيها وتامل حسن تعريجها فكانما خطّ بالبركار[١] وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب، اتخذه من كرم قل، ومن اين اعلم! هو ساج[٢] من قطعة واحدة لامأروض[٣] ولاعفن[٤] إذا حركت ان، وإذا نقرطن، من اتخذه ياسيدى، اتخذه ابو اسحاق بن محمد البصرى وهو والله رجل نظيف الاثواب بصير بصنعة الابواب، خشف اليد في العمل، لله در ذلك الرجل، بحياتى لاستحت الاب على مثله، وهذه الحذقة نراها اشتريتها في سوق الطرائف من عمران الطرائفى بثلاثة دنانير معزية وكم فيها ياسيّدى من الشبه[٥] فيها ستة ارطال وهى تدور بالولب[٦] في الباب بالله دوّرها، ثم انقرها و ابصرها، وبحياتى عليك لاشتريت الحلق الامنه فليس يبيع الا الاعلاق[٧] ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال: عمرك الله يادار ولاخربك ياجدار فما امتن حيطانك واوثق بنيانك راقونى اساسك، تامل بالله معاريجها وتبين دواخلها وخوارجها، وسلنى: كيف حصلتها؟ وكم من حيلة احتلتها، حتى عقدتها، كان لى جار يكنى أبا سليمان سكن هذه المحلة

---

(١) البركار آلة لتحديد الدوائر (٢) الساج شجر عظيم صلب الخشب

(٣) المأروض التى تأكله الارضة (٤) عفن الشئ اذا فسد من ندوة اصابته (٥) الشبه الخامل الاصفر

(٦) الولب آلة من خشب او حديد ذات محور ذى دوائر ناتئة

(٧) الاعلاق جمع علق الشئ النفيس

وله من المال مالا يسعه الخزن، ومن الصامت[1] مالا يحصره الوزن، مات رحمه الله وخلف خلفا اتلفه بين الخمر والزمر[2] ومزقه بين النرد[3] والقمر واشفقت ان يسوقه قائد الاضطرار، الى بيع الدار، فبيعها في اثناء الضجر او يجعلها عرضة للخطر، ثم اراها، وقد فاتني شراها، فانقطع عليها حسرات، الى يوم الممات، فعمدت الى اثواب لا تنض[4] تجارتها فحملتها اليه، وعرضتها عليه، وساومته على ان يشتريها فنسيئة[5] والمدبر يحسب النسيئة عطية. وانخلعت بعتدها هدية، وسألته وثيقة باصل المال ففعل وعقدها لي، ثم تغافلت عن اقتضائه حتى كادت حاشية حاله ترق فأتيته فاقتضيته، واستمهلني فانظرته، والتمس غيرها، من الشياب فاحضرته، وسألته ان يجعل داره رهنية لدي، ووثيقة[6] في يدي ففعل ثم روجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لي بحمد[7] صاعد وبخت مساعد، وقوة ساعد، وربح ساع لقاعد، وانا بحمد الله مجدود[8] في مثل هذه الاحوال محمود، وحسبك يا مولاي اني كنت منذ لبيا لي نائما في البيت مع من فيه اذ قرع علينا الباب، فقلت: من الطارق

---

(١) المال صامت في جميع الاشياء واكثر ما يقال عند العرب على الابل لانها كانت اكثر اموالهم والمال الصامت ما يكون من المعادن (٢) الزمر النصوت والغناء (٣) النرد لعبة الطاولة والقمر القمار (٤) تنض تحرك وتجاره لا تحرك الى كاسدة غيرا تقدر (٥) اي بناجل الدين

(٦) المدبر الذي ادبرت حالته الى الفقر، وكذا المختلت. الذي يختلت عن الناس في سوء حظه وتناشر حاله (٧) الوثيقة الصك الذي يكتب فيه الدين

(٨) الحد الحظ (٩) محمود اي موجود وحظ

المنتاب، فاذا امرأة معها عقد لآل، فى جلدة ماء ورقة الآل تعرضه للبيع، فأخذته منها الخدنة خلس، واشتريته بثمن بخس، وسيكون له نفع ظاهر، وربح وافر، بعون الله تعالى ودولتك، وانما أحدثك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدى فى التجارة، والسعادة تنبط الماء من الحجارة، الله اكبر لا ينبئك اصدق من نفسك، ولا اقرب من امسك اشتريت هذا الحصير فى المنداة، وقد اخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات وزمن الغارات، وكنت اطلب مثله منذ الزمن الاطول فلا اجد، والدهر حبلى ليس يدرى ما يلد. ثم اتخذ الى حضرت باب الطاق، وهذا يعرض فى الاسواق، فوزنت فيه كذا وكذا دينارا، تأمل بالله دقته ولينه وصنعته، ولونه فهو عظيم القدر لا يقع مثله الا فى الندر، وان كنت سمعت بأبى عمران الحصيرى فهو عمله، وله ابن يخلفه الان فى حانوته لا بوجداعلاق الحصر الا عنده فيجيء الى لا اشتريت الحصر الا من دكانه، فالمؤمن ناصح لاخوانه لاسيما من تحرم بخوانه ونعود الى حديث المضيرة، فقد حان وقت الظهيرة، ياغلام الطست والماء، فقلت

---

(١) الآل السراب اى هذه الملاءة هى كالماء صفاء والسراب رقة (٢) انبط الماء اخرجها

(٣) المنداة البيع بالمزاد العلنى (فى العرف الحديث، وهو ان ينادى على شئ ويقوم احد ثم يزيد عليه ثان وثالث حتى يشتريه احد بثمن عال (٤) صادره منى طالبه به سلطانا

(٥) الحبلى الحامل وهو مثل يضرب لما يحصل من غير ترقب وعلم سابق كقول الشاعر ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود (٦) من كان ضيفا عند احد مرة وجب له حق وثبت له حرمة عند الضيف يعجم لو يجنه

الله اكبر، بما قرب الفرج، وسهل المخرج، وتقدم الغلام، فقال ترى هذا الغلام، انه رومي الاصل عراقي النشء، تقدم يا غلام و احسر عن راسك وشمر عن ساقك، وانضُ عن ذراعك، وافترْ عن اسنانك واقبل وادبر ففعل الغلام ذلك، وقال التاجر، بالله من اشتراه؟ اشتراه ابو العباس، من النخاسْ، ضع الطست، وهات الابريق، فوضعه الغلام وأخذه التاجر وقلبه وادار فيه النظر ثم نقره، فقال: انظر الى هذا الشبه كانه جذوة اللهب، او قطعة من الذهب، شبه الشام، وصنعة العراق، ليس من خلقات الاعلاق، قد عرف دور الملوك وادارها تامل حسنه وسلني متى اشتريته اشتريته والله عام الفجاعة وادخرته لهذه الساعة، يا غلام الابريق، فقدمه، واخذه التاجر فقلبه، ثم قال، وانبوبه منه، لا يصلح هذا الابريق الا لهذا الطست، ولا يصلح هذا الطست الا مع هذا الدست ولا يحسن هذا الدست الا في هذا البيت، ولا يجمل هذا البيت الا مع هذا الضيف، ارسل الماء يا غلام، فقد حان وقت الطعام، بالله ترى هذا الماء ما اصفاه ازرق كعين السنور، وصاف كتنبيب البلّور، أستقى من الغدرات، واستعمل بعد البيات، فجاء كلمان الشمعة في صفاء الدمعة ولين الشان في السقاء، الشان في الاناء لايد لك على نظافة اسبابه،

---

(١) انضُ اخرجه (٢) انفر الرجل ضحك مكاحنا

(٣) النخاس اسم بياع الرقيق وبلادها والطاق على السوق التي يباع فيها الرقيق، والملقب بخلق التوبلاني

(٤) اي طافت فيها من داريدور (٥) الدست صدر البيت والمجلس

اصدق من نظافة ثيابه ، وهذا المنديل سلني عن قصته، فهو نسج جرجان ، وعمل ارجان ، وقع الىّ فاشتريته فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا واتخذت بعضه منديلا، دخل في سراويلها عشرون ذراعًا، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعًا، واسلمته الى المطرز[1] حتى صنعه كما تراه وطرزه ، ثم رددته من السوق ، وخزنته في الصندوق ، وادخرته للظرف من الاضياف ، لم يتذلله عرب العامرية بايديها، ولا النساء لما قيها[2] فلكل علق يوم ولكل الة قوم، يا غلام الخوان ، فقد طال الزمان، والقصاع فقد طال المصاع[3] ، والطعام، فقد كثر الكلام، فأتى الغلام بالخوان وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان وعجمه[4] بالاسنان ، وقال : عمر الله بغداذ فما أجود متاعها ، وانظرت صُناعها ، تأمل بالله هذا الخوان وانظر الى عرض متنه ، وخفة وزنه ، وصلابة عوده وحسن شكله فقلت : هذا الشكل ، فمتى الاكل ، فقال : الآن ، عجل يا غلام الطعام لكن الخوان دوائه سنه ، قال ابو الفتح : فجاشت[5] نفسي وقلت : قد بقي الخبز وآلاته ، والخبز وصفاته والحنطة من اين اشتريت اصلا ، وكيف اكتري لها حملا ، وفي اي رحى طحن ، واجانة عجن واي تنور سجر[6] وخباز استأجر

---

(١) طرز الثوب نهنه الخيوط المتلونة والرسوم وما شاكلها

(٢) الماقي جمع موى وهو مجرى الدمع من العين او مقدمها او مؤخرها

(٣) المصاع من اصطاع الحرب فانثنوا جالدوا (٤) عجمه عضه يقال عجم عوده يعجمه للاختبار الفعل

(٥) جاشت النفس ثارت من حزن او غضب (٦) الاجانة الاناء الذي يعجن فيه

(٧) سجر التنور املاه وهو الكانون يخبز فيه

وبقى الحطب من اين احتطب ، ومتى جلب ، وكيف صفف حتى جفف ، وحبى حتى ينبس ، وبقى الخباز ووصفه ، والتلميذ ونعته ، والدقيق و سدحه والخمير ونشرحه ، والملح وملاحته ، وبقيت السكرجات[1] من اتخذها ، وكيف انتقذها[2] ، ومن استعملها ، ومن عملها ، والخل كيف انتقى عنبه او اشترى رطبه ، وكيف صهرجت[3] معصرته ، واستخلص لبه و كيف قيرحبته[4] وكم ليلة اوى دنه[5] ، وبقى البقل كيف احتيل له حتى قطمت ، وفى اى ميقدة رصف ، وكيف توزن حتى نظف ، وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ووفى ثمنها ، ونصبت قدرها واججت نارها ودقت ابزارها ، حتى أجيد طبخها وعقد مرقها[6] ، وهذا خطب يطمروا مر لا يترفقمت فقال : اين تريد ، فقلت حاجة اقضيها ، فقال : يا مولاى تريد كنيفا يزرى بربيعى[7] الامير ، وخريفى الوزير ، قد جصص[8] اعلاه وصهج اسفله وسطح سقفه وفرشت بالمرمر ارضه ، ينزل عن حائطه الذر[9] فلا يعلق

---

(١) السكرجة اناء صغير يوكل فيه الشئ القليل من الادم

(٢) انتقذها استخلصها من صاحبها

(٣) من صهرج الحوض طلاه (٤) قيرطلى بالقار والحب الجرة

(٥) الدن الجرة الكبيرة ، الراقود ، ثم لا يبعد الان يجعلونه (٦) عقد المرق اذا فصل غلظ

(٧) الربيعى كان الامام ترك المثلاء وقت الربيع وكذا الخريفى فى الخريف

(٨) جصص طلاه بالجص

(٩) الذر صغار النمل.

ويمشي على ارضه الذباب فيزلق عليه غيرانه[1] من خليطي ساج وعاج ؛ مزدوجين احسن ازدواج يتمنى الضيف ان ياكل فيه فقلت ، كل انت من هذا الجراب لم يكن الكنيف في الحساب ، وخرجت نحو الباب واسرعت في الذهاب وجعلت اعدو وهو يتبعني ويصيح يا ابا الفتح المضيرة ، وظن الصبيان ان المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، فرميت احدهم بحجر من فرط الضجر فلقي رجل الحجر بعمامته ، فغاص في هامته ، فأُخذت من النعال بما قدم وحدث ومن الصفع بما طاب وخبث وحشرت الى الحبس فاقمت عامين في ذلك الحبس فنذرت ان لا آكل مضيرة ما عشت ، فهل أنا في ذا يا آل همذان ظالم ، قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا نذره ، وقلنا : قد يجنى المضيرة على الاحرار وقد مت الأماذل على الاخيار[2] [3]

---

(١) الغيران جمع غار مدخل الفم او الاخدود بين الشيبين ؛ اراد به المتفرج بين الاوداج

(٢) حدث بالفتح واذا ذكر مع قدم ضم اتباعاً

(٣) مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة الزبيدية للحريري[1]

اخبرالحرث بن همام قال لما جُبت البيد، الى زبيدٍ[2]، صحبني غلام قد كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى كمل رشده، وكان قد أنس بأخلاقي، وخبر مجالبي[3] ومنافي، فلم يكن يتخطّى مرامي، ولا يخطئ في المرامي، لاجرم ان قربه التاطت[4] بصفري[5] واخلصته لحضري وسفري فالوى به[6] الدهر البيدُ[7]، حين ضمتنا زبيد، فلما شالت نعامته[8] وسكنت نأمته[9] بقيت عاما، لا اسيغ طعامًا، ولا ارتع[10] غلامًا، حتى الجأتني

---

(١) (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) محمد القاسم بن علي البصري، نشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها واشتهر في فنون الادب وبرز على الاقران وكان من اوعية العلم رواية حافظا للاخبار والاشعار، وقد اشتهر بمقاماته حتى لا تكاد تُذكر الا انتقل الذهن اليه وقد سحرت قلوب الناس وشغلت انظار الادباء وبقيت اشهر كتاب والمثال الوحيد للنثر العربي في بعض الاقطار لعدة قرون ولها اثر بليغ في اساليب الكتاب، يغبطون على سنوالها ويتفاخرون تقليدها.

تمتاز كتابة الحريري بالتكلف والمبالغة في الصنعة وترجيح جانب اللفظ على جانب المعنى والغرام شديد بالمحسنات ووحدة الاسلوب وحسنه. القول فاصل في اسلوب مقاماته، وقد سموه على ان كتاب المقامات قد تضمن ثروة ادبية غضة لا يستغني عنها فيها من مدوناته الصفحات الغزيرة والنوادر المحبوبة والامثال العربية والحاجي الفوتر ولعلّ ذلك هو سرّ حظوة الناس عليه ورواجه له

(٢) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء ثلاثون فرسخا (٣) عرّكته بضيق وكبت جلب من عنق ونحوه (٤) الصقته (٥) الصفة (٦) ذهب (٧) اي المهلك (٨) اي ماتت وهي من كنّى الرجال، شالت نعامة القوم اذا نفروا وارتحلوا أو ذهب عزهم وماتوا والنعامة بالحي الصدر هي تنتصب عند الموت (٩) حركته التي تنوح بها وتصلها صوت الاسد أو غيره (١٠) لا اربع اي لا اطلب.

شوائب[1] الوحدة ومتاعب القومة والقعدة - الى ان اعتاض عن الدر الخرز[2] واربتاد[3] من هوسداد من عسوز[4] فقصدت من يبيع العبيد - بسوق زبيد. فقلت اريد غلاماً يحبب إذا قلب[5] ويحمد إذا جرب، وليكن من خرجة[6] الاكياس[7] واخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم لمطلبي وثب، وبذل تحصيله[8] عن كثب[9]، ثم دارت الاهلة دورها[10] وتقلبت كورها وحورها[11]، وما بخز من وعودهم وعد، ولاح لها رعد[12]، فلما رأيت الخاسين[13]، ناسين او متناسين، علمت ان ليس كل من خلق يفرى[14]، وان لم يحك جلدى مثل ظفرى[15]، فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض[16]، فانى لاستعرض الغلمان واستخرف الاثمان[17]، اذ عارضنى رجل قد اختطم بلثام وقبض على

---

(١) اى اخلاطها واكدارها (٢) فصوص من حجارة (٣) الطلب، (٤) اى ما يعد عند الاحتياج ويستغنى به عن غيره والسعاد بالكسر ما يعد به النار وسرة والخلل (٥) اى تقلب (٦) اى من عامة ومن به (٧) اغلاء ذوو اكياس (٨) اى العقل (٩) اى عن قرب (١٠) اى مرت شهور السنة الى ان جاء الشهر الذى كنت سألتهم فيه ووعدونى بتحصيله (١١) اى ما فيها وعقما عما من قولهم ثمود باقه من الخير بعيد الكور (١٢) اى ما حصل وما انتفش (١٣) كناية عن عدم وفاء ما وعدوه به (١٤) الدلالين قد الرقيق (١٥) خلق الشئ صنعه وقدره والفرى القطع يريد ان ليس كل من وعد بفى او ليس كل الناس يقضى الحوائج (١٦) هذا مثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس

(١٧) اى الدنانير والدراهم

زند[1] غلام وقال :-

من يشترى منى غلاما صنعا[2] ... فى خلقه وخلقه قد برعا

بكل ما نظمت[3] به مضطلعا[4] ... يشفيك إن قال وان قلت دعى

وان تصبك عثرة يقل لعا[5] ... وان تسمه[6] السعى فى النار سعى

وان تصاحبه ولو يوما ترعى ... وان تقذعه بظلعت قذعا

وهو على الكيس الذى قد جمعا ... ما فاه[7] قط كاذبا ولا ادعى

ولا اجاب مط معاجين دعا ... ولا استجازنث[8] سرا ودعا

وطالما ابدع فيما صنعا ... وفاق فى النثر وفى النظم معا

والله لولا ضنك عيش صدعا ... وصبية اضحوا عراة جوّعا

ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم، خلته من ولدان جنة النعيم، وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم، ثم استنطقته عن اسمه، لا لرغبة فى علمه، بل لانظر اين فصاحته من صباحته، وكيف لهجته من بهجته، فلم ينطق بحلوة ولا مرة[9]

---

(١) هو الساعد من اليد (٢) حاذقا بالصناعة (٣) اى علقته به (٤) قويا بحمله (٥) اى سلمت وغبرت وهى كلمة تقال للعائر معناها اثال الله يتعالى عثرتك وطلك بفالك (٦) تكلفه (٧) ما نطق (٨) نثر (٩) اى بكلمة حسنة ولا قبيحة

ولافاه فوهة ابن امة ولاحرة ، فضربت عنه صفحا[1] وقلت له قبحا لعيك وشقا[2] ، فغار فى الصخك وانجد[3] ، ثم افاض راسه[4] الى وانشد :-

يا من تذهب غيظه اذا رابح ... يا سمى له ما هكذا من يضع

ان كان لا يرضيك الا كشفه ... فاصخ[5] له انا يوسف انا يوسف[6]

ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن ... فطنا عرفت وما اخالك تفرق

قال فسرى عنى[7] يشره ، واستبى لبى[8] بحره ، حتى شد هت[9] عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ، ولم يكن لى هم الا مساومة مولاه فيه ، واستطلاع طلع[10] الثمن لاوفيه ، وكنت احسب انه سينظر شزرا الى[11] ، ويخلى السبيمة[12] علىّ ، فما لحق[13] الى حيث حلقت ، ولا اعتلق بما به اعتلقت ، بل قال إن الغلام اذا قرر ثمنه ، وخفت مؤنه ، يتبرك به مولاه ، والتحمت[14] عليه هياه ، وانى لاوثر تجنيب هذا الغلام اليك ، بان اخفف ثمنه عليك ، فزن ما شئت درهما ان شيت ، واشكر لى ما حييت ، فنقدته المبلغ فى الحال ، كما ينقد فى الرخيص الحلال ،

---

(١) اغرضت عامدا عنه حانبا (٢) بعدا (٣) اى بالغ فيه وخفض رأسه مرة ورفعه اخرى (٤) حركه منصبا على سبيل الاستهزاء ومنه قوله تعالى سينغضون اليك رؤسهم (٥) اى استمع (٦) يعنى انا الحر لا العبد الذى يشير به الى بيع يوسف الصديق عليه السلام (٧) اى اذهب غيظى من سريت منه الشوب اذا نزعته (٨) اى ملك قلبى وأسره (٩) تحيرت (١٠) اى قدره (١١) اى القيمة (١٢) وأبر والاحامر من قولهم حلق الطائر اذا ارتفع فى طيرانه اى لم يصر حول ما اعلو بتكرى (١٣) اشتمل

ولم يخطر لى ببال، ان كل مرخص غال، فلما تحققت الصفقة[1] وحققت الفرقة هملت[2] عينا الغلام، ولاهمول دمع الغمام، ثم اقبل على صاحبه وقال :-

لحاك الله[3] هل مثلى يباع ... لكيما تشبع الكرش[4] الجياع

وهل فى شرعة[5] الانصاف انى ... اكلف خطة[6] لا تستطاع

وان ابلى بروع بعد روع ... ومثلى حين يبلى يراع

اما جربتنى فخبرت منى ... نصائح لم يمازجها خداع

وكم ارصدتنى شركا لصيد ... فعدت وفى حبائلى الباع

ونطت بى المصاعب[7] فاستقادت[8]
مطاوعة وكان بها امتناع

واى كريهة لم أبل[9] فيها ... وغدر لم يكن لى فيه باع

وما أبدت لى الايام جرما ... فيكشف فى مصارعنى القناع

ولم تعثر بجدك الله منى ... على عيب يشتهر او يذاع

فانى ساغ عندك نبذ عهدى ... كما نبذت برايتها[10] الصناع[11]

---

(١) البيعة (٢) سالت وسكبت (٣) اى اهلكه (٤) الاديم عيال الرجل من صغار ولده يقال حاء مجركرشه اى عياله (٥) الشرعة الماء المورود والمراد بها هنا الطريقة (٦) مشقة (٧) جمع مصعب وهو الفحل والمراد الشدائد (٨) انقادت (٩) ابلى فى الحرب اظهر فيها جلادته (١٠) البراية ما يلحق من الشئ الذى يصنع وما ينحت من الاديم والقلم عند بريه (١١) المرأة الحاذقة بالصنعة.

ولو سمحت ترونك[1] بامتهانى[2] وان اشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضى عنه صونى حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم فىّ هذا سكاب[3] فنا يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف[4] لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على انى شأنشد عند بيعى أضاعونى[5] واى فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته، وعقل مناغاته[6]، تنفس الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال لى انى احل هذا الغلام محل ولدى، ولا اميزه عن افلاذ كبدى[7]، ولولا خلو مراحى[8]، وخبو مصباحى، لما درج عن عشى، الى ان يشيع نعشى، وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين، والمؤمن هين لين[9] فهل لك فى تسلية قلبه، وتربية كربه، بان تعاهدنى على الاقالة فيه متى استقلت[10] وان لا تستثقلنى اذا ثقلت. فنى الآثار المنتقاة، المروية عن الثقات، من اقال نادماً بيعته، اقاله الله عثرته، قال الحرث بن همام فوعدته وعدا

---

(١) تضنك (٢) اى بالذلك واصل المهنة الخدمة والمراد هنا الخادم (٣) اسم فرس لرجل من بنى تميم طلبه منه بعض الملوك فتمنعه اياه وانشد ابيات القصر ان سكاب علق - تغنى لا يعار ولا يباع

(٤) الطرف الفرس الكريم (٥) شطر بيت وتمامه - اضاعونى واى فتى إضاعوا - ليوم كريهة وسداد ثغر

(٦) اى كلامه واصل المناغاة تكلم الطفل لصويحباته وجيهه كما تفعل الامهات باولادها والمغنية كانغمة

(٧) الافلاذ جمع فلذة بالكسر وهى القطعة وهو مثل

(٨) اى سهل الاخلاق (٩) اقال البيع فسخه

(١٠) اى طلبت الاقالة

ابرزه الحياء ، وفى القلب اشياء ، فاستند فى حينئذ الغلام اليه و قبل ما بين عينيه ، وانشد والدمع يرفض[1] من جفنيه

خفض فدتك النفس ما تلاقى ... من برحاء[2] الوجد والاشفاق

فما تطول مدة الفراق ... ولا تنى[3] ركائب التلاق

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى ، وشمر ذيله وولى فلبث الغلام فى زفير[4] وعويل[5] ، ربما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق ، قال اتدرى لم اعولت ، وعلام عولت ، قلت اظن فراق مولاك ، هو الذى ابكاك ، فقال انك لغى وادوانا فى واد[6] ، ولكم بين مريد ومراد ، ثم انشد

لم ابك والله على العنز[7] ... ولا على فوت نعيم و فرح

وانما مدمع اجفانى سفح ... على غبى لحظه حين طمح[8]

ورطه[9] حتى تعنى[10] وافتضح ... وضيع المنقوشة البيض الوضح[11]

---

(١) اى يترشش ويتفرق (٢) شدة (٣) اى تفتر وتضعف (٤) مواخراج النفس بشدة

(٥) اى بكاء بصياح (٦) هو مثل العرب او ثلاثة الامثال فصاح

(٧) مثل يضرب فى اختلاف المقاصد اى بينى وبينك بون بعيد (٨) بعد (٩) اوقعه

(١٠) او قعه فى ورطة (١١) تعب

(١٢) الوضح الدرهم الصحيح

ويك اما ناجتك هاتيك الملح[1] بأنني حر وبيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت[2] مقاله في مرآة المداعب، ومعرض الملاعب فتقلب تقلب الحق، وتبرأ من طينة الرق[3] فجلنا في مخاصمة، اتصلت بملاكمة[4] وافضت[5] الى محاكمة[6] فلما اوضحنا للقاضي الصورة وتلوناعليه السورة[7] قال ألا إن من انذر، فقد أعذر[8] ومن حذر، كمن بشر، ومن بصر، فما قصر، وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت[9] ونصح لك فما وعيت، فاسترداء بلهك[10] واكتمه، ولم نفسك ولا تلمه، وحذار من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه حر الاديم[11] غير معرض للتقويم[12] وقد كان ابوه احضره أمس، قبيل أفول[13] الشمس، واعترف بانه فرعه الذي انشأه[14] وان لا وارث سواه، فقلت للقاضي أو تصرف أباه، اخزاه الله[15] فقال

---

(١) الكلمات المحسنة (٢) تصورت (٣) اى استحكمت و تماشى عن كونه رقيقا (٤) من اللكر وهو الضرب بجمع الكف (٥) وصلت (٦) هي الذهاب الى المحاكم (٧) اراد بها القصة (٨) اى من حذرك ما يجل بك فقد اعذر اى صار معذورًا عندك (٩) اى فما انتبهت ولا انكففت (١٠) البله سلامة القلب وقلة الفطنة في امور الدنيا

(١١) اسم فعل بمعنى احذر (١٢) امساكه (١٣) اى الجلد والمراد ليس به شائبة رق (١٤) اى لجعله ذا تبعة كالمبتعات (١٥) غروبها (١٦) يعني انه ابنه الذي ولده

وهل يجهل ابو زيد الذى جرحه جبار[1] وعند كل قاض له أخبار وإخبار فحوقرت حينئذٍ وحولقت[2]، وافقت ولكن حين فات الوقت، وابقنت ان لشامه كان شرك مكيدته، وبيت قصيدته[3] فنكس طرفى مالقيت واليت، ان لا اعامل ملئمًا ما بقيت ولم ازل انا وه لخير صفقتى وافتضاحى بين رفقتى، فقال لى الغاضى، حين رأى امتعاضى[4]، وتبين حرارتماضى[5]، يا هذا ماذهب من مالك ماوعظك[6] ولا اجرم اليك من ايقاظك فاتعظ بما نابك، وكاتم اصابك ماأصابك، وتذكر ابدًا ما دهمك لتقى الذكرى دراهمك، وتخلق بخلق من ابتلى فصبر، وتجلت له العبر فاعتبر، قال الحرث ابن همام فوعدته لابساثوب الخجل والحزن، ساحبا ذيلى الغبن والغبن[7]، ونويت مكاشفة ابى زيد بالهجر، و

---

(١) فى الحديث جرح العجماء جبار اى هدر لا قصاص فيه (٢) اى قلت لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٣) بيت القصيدة مثل يضرب فى النادر العزيز والمعنى ان تلثمه العرب كانده واعجب معاشره (٤) الامتعاض الغضب والتوجع والحزن

(٥) حرمة توجعى يقال رمضت قدمه احترقت من الرمضاء وهى الحجارة التى اشتد عليها وقع الشمس فحميت وارتمض فلان كذا اشتد عليه غضبه

(٦) هذا مثل يضرب ومعناه الذى ذهب من مالك يذهب ان يرتهب منك عبده فتوجعك وندامتك عليه قد حوك من الحوف عليه فيكون بقاؤه لك عوضا مما ذهب منك

(٧) الاول باكسار الغين وهو ايضا ما يغبن به والثانى بفتحها وهو مصدر الفعل

مصارمته يد الدهر[1] فجعلت استكب عن ذراه[2] واتجنب ان اراه، الى ان غشيني في طريق ضيق، فحيا ني تحيه شيق[3]، فما زدت على ان عبست وما انبست[4]، فقال ما بالك شمخت بانفك[5] على إلفك فقلت أنيت انك احتلت وختلت[6]، وفعلت وفعلتك التي فعلت، فاضرط بي[7] شهادتا ثم انشد متلافيا

يا من بدا منه صدو ... د موحش وتجهم[8]
وغدا يريني[9] ملاوصا[10] ... من دونهن الاسهم
ويقول هل حرّ يبا ... ع كما يباع الادهم[11]
اقصر[12] فما انا فيه يد ... عا مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط[13] قبـ ... ـلي يوسفا وهو مرهم
هذا واقسم بالذي ... يسرى اليها المتهم[14]

---

(١) اي مدة نسبة الدهر وهي الحياة الى آخر عمري (٢) اي اعدل واتباعد عن بينه

(٣) اي سلام مشتاق شديد الحب (٤) اي ما تكلمت

(٥) مرغمت انفك تكبرا على صاحبك (٦) اي خدعت

(٧) اي اضرمني واصله ان يضع الشخص ظهر يده على فمه وينفخ فيخرج صوت

(٨) عبوس (٩) اصله وضع الريش على السهم واراد انه يبين له الكلام المؤلم

(١٠) جمع ملاصة لصف الدور (١١) البيد الاسود او الفرس الاسود (١٢) اي كف عن الدور

(١٣) كاقبائل ذهبوا اولاد يعقوب عليه السلام يوسف واخوته

(١٤) اذا تكلمت شرفها الله وانتهى الذاهب الى قيامة

والطائفين بها وهم شعث النواصي[1] سحم[2]

ما قمت ذاك الموقف الخزي وعندي درهم

فاعذر اخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت، واما دراهمك فقد طاحت[3] فان كان اقشعرارك[4] مني، وازورارك[5] عني، لفرط شفقتك على عمر[6] نفقتك، فلست ممن يلسع مرتين، ويوطى على جمرتين وان كنت طويت كشحك[7] واطعت شحك لتستنقذ ما علق باشراكي فلملمك على عقلك السواكي، قال الحرث بن همام فاضطرفني بلفظه الخالب وسحره الغالب، الى ان عدت له صفيا، وبه حفيا[8] ونبذت فعلته ظهريا[9]، وان كانت شيئا فريا[10]

---

(١) غبر الرؤس (٢) السامم الدابل الشعثن هذا الا وقيل السامم المتغير الوجه من وهج النص

(٣) اى ذهبت وفنيت (٤) انقباضك (٥) ميلك

(٦) بقية مالك الذى سفق صنه (٧) اى اعرضت

(٨) الحفى المبالغ فى الاكرام

(٩) اى خلف ظهرى منبذا

(١٠) امرا عظيما

(١١) مقلنا الحرين

عتاب وتأنيب للقاضي الفاضل[1]

اتصل بالقاضي الفاضل لخاه عبد الكريم نال الامير علم الدين ابن الخاس بأذى وجفاء فكتب اليه يوبخه

سبب اصدار هذه المكاتبة الى الاخ — اصلحه الله — اعلامه ما صح عندي من الاحوال التي اخفاها وابداه مبديها في حق الامير علم الدين، وبالله اقسم لئن لم تعتد وما جرت وتستدرك ما فعلت، وتمحو ما اثبت، وتستأنف ضد القبيح الذي كتبت به وشافهت. ومعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به وباسرت، ليكونن الحديث مني بغير الكتب ولا زلين السبب الذي قدرت به على مضرة الاصحاب، وسأشد معرفتي بان الطباع لا تتغير وبانك ستوجني بعد هذا الكتاب الى ما لا يتأخر، وبالجملة فاستدرك بفعلك لا بأيمانك لي وتنصلك[2] الى

---

(١) ٥٢٩ — ٥٩٦ هـ هو ابو علي عبد الرحيم البيساني العسقلاني. تعلم كتابة الدواوين في مصر، ودخل ديوان قاضي الاسكندرية ثامتاز بنبوغه فاشتغل في ديوان الانشاء في القاهرة ودامت الدولة الايوبية فكان وزيرا لصلاح الدين ومدبر ملكه وصاحب سره وكذلك كان ولده شلا خيه حتى توفي.

القاضي الفاضل من ابطال الطريقة العبيدية ومجدها، طريقة الصناعة والتكلف والاعجاع والقوافي، وناد عليها الاغراق في التورية والجناس.. وكان له من التاثير في الكتابة في عصره وبعد عصر ما كان لعبد الحميد الكاتب وابن العميد لوظيفتهم ومنصبهم، ولم تزل موثرة مؤثرة عند الادباء حتى فقدت مكانتها بتاثير اساليب خلدون ومقتبسات الدولة بديع. على اختلاف ما بين بقية هذه الرسالة البليغة على غير طريقة العبادية

(٢) تنصل الى فلان من الصاحبة خرج وتبرأ مما صدر منها

فالمعرفى الفضل شاهد عجب

وويل لمن كانت غنيمته من الايام عقد القلوب على البغضاء واطلاق الالسنة بالمذام ولولا انني شريكك فى كل ما تستوجبه من الناس لالقيت حبلك على غاربك وتركتك وما اخترت لنفسك ولكن

كيف بين يرمى وليس يرامى

لكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير منهم فاذا انت لاتتفق الامن كيس فاشفق على نفسك ان كنت تنظر فى غد، وعلى بيتك ان كنت تنظر فى امس وعلى مكانك منى ان كنت لاتنظر الا فى اليوم، ولاعجا وبنى الابلسان الرجل شاكرًا لك فانه وان كان بالله ماذمك وعند ذممته به عنه، وما اظن انك تذكر انى كتبت اليك كتابًا ولا كنت اوثره، ولو لاحافظ[1] غيظ ما كتبته، ولولا علمى ان الكثير مما قيل عنك فى امر الرجل هو القليل مما فعلته لاضربت عن هذا كما اضربت عن غيره، وستعرفك الايام ما كنت تجهل، والله ياخذ بناصيتك الى رضاه ويحمد سعيك حيلتك عن مقتك والسلام[2]

---

(١) حافظ غيظ وافعله

(٢) كمال الدين ابن العديم اسقيل فى تذكرته

آراء في التعليم لابن خلدون

١ - كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم انه مما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وجعلته بسبيل منه لان التحصيل في صناعة المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومعاناة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع الانسور ولا يدرون رتبة التحصيل وما يشغل

---

(١) ٧٣٢ - ٨٠٨ ولد هذا العالم الكبير في تونس ونشأ في بحر العلم والعلماء وشارك في جميع العلوم واتقنها وتعمق فيها وتبحر في التاريخ وتقلد الكتابة والحجابة والقضاء وتوفي سنة ١٤٠٦ م على الاندلس فاحتفى به الملوك والامراء وافقده به صاحب غرناطة دون وزيره فدبت اليه عقارب الحسد والحقد فعاد الى بجاية شرا خذ يجول ويطوف في الامصار حتى بلغ مصر سنة ٧٨٤ هـ فولاه الظاهر بالتدريس في الجامع الازهر وولي القضاء ثم انصرف عنها واعتزل وتم استدعاه واعتزل الى ان وافاه اجله

وقع الاتفاق على ان ابن خلدون امام فلسفة التاريخ وابو علم الاجتماع، ومقدمته تاريخ لم يسبق مثلها، ولم تدانه كتب العالم ولا تزال الكتاب غضا طريا جديدا في مباحث كثيرة صادقا في آراء ونظريات كثيرة

وابن خلدون امام طريقة في الكتابة لا تزال مثالا جميلا للكتابة العلمية الرزينة اسلوبه طبيعي عامر بحكمة وهو مع ذلك رشيق متسق، وله في تجديد الكتابة ونقلها الى طور حديث فضل كبير

والمتعين شأن ارتقاه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الاقدمية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان التحصيل والعتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتاخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقضي ولم يدرك المعلمون او اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر يهون ذلك بكثير كان التعليم سهلا ومأخذه قريباً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ومثل ذلك علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطمع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تآليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني واهل طبقتهما لعظم ملكته وما احاط به من اصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصراً في المتقدمين سيما وقد سمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتآليف ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والا فالظاهر

أن المتعلم لو وقع عمره في هذا كله ولا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الغرض ولكن الله يهدي من يشاء -

٢- كثرة الاختصارات المخلة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والاغراض في العلوم يريدون بها قربها ومن سبلها بزعمهم اختصاراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصاروا لذلك مخلين بالبلاغة وعسراً على الفهم ويسأ عمدوا الى كتب الامهات المطولة للتسهيل والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والنحويين في النحو وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان صعوبة الفن على المبتدئ بالقاء غايات من العلم اليه وهو لم يحصل مبادئه وهو من سوء التعليم كما سيأتي في الشرف فيه مع ذلك شغل المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة المفهم بتزاحم المعاني عليها تزاحم السائل من بيضاء الفاظ المختصرات تحيدها لاجل ذلك ما لك الخاصة من التعليم في تلك المختصرات اذا اشتغل على سذاجة ولم تعقبه ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة الامثلة في تلك بعد التكرار والاحالة الى قبيل حصول الملكة التامة واذا اقتصر على مختصرا

ثمرت الملكة لقلته كثان هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل
الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يقطعون من تحصيل الملكات النافعة و
متعلقها ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله سبحانه
وتعالى اعلم

٣ - وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج
شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هى
اصول ذلك الباب ويقرب له فى شرحها على سبيل الاجمال ويراعى فى ذلك
قوة عقله واستعداده بقبول ما يرد عليه حتى ينتهى الى آخر هذا الفن و
عند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها
انها هى أنه لفهم الفن وتحصيله . ثم يرجع به الى الفن ثانية
ويرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفى الشرح و
البيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان
ينتهى الى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا
ولا مبهما ولا مغلقا الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على
ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد هو كما رأيت اذا يحصل فى ثلث تكررات
وقد يحصل للبعض فى اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه ، وقد شاهدنا
كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى ادركنا ، يجهلون طرق التعليم وافادته
يحضرون المتعلم فى اول تعليمه المسائل المقفلة من العلوم ويطالبونه باحضار

ذهنه فى حالها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه وهى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مباديها وقبل ان يستعد لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا فى الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية شيئا لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم فى التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات فى البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب من صعوبة العلم فى نفسه فتكاسل عنه واخرف عن قبوله وتمادى فى هجرانه واذا تى ذلك من سوء التعليم

ولا ينبغى للمعلم ان يزيد متعلمه على فى كتابه الذى اثبت على المتعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم شيئا ما كان اوسطها ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من اوله الى آخره ويحصل اغراضه ويستولى منه على ملكة يقتدر بها فى غيره لان المتعلم اذا حصل ملكة ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم واذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره وتدرس التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدى من يشاء

وكذلك ينبغى لك ان لا تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض

فيسر حصول الملكة بتفريعها فاذا كانت اوائل العلوم واخره حاضرة عند الفكرة
مجانبة للنسيان كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واقرب صبغة لان الملكات
انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تواتى الفعل تنوسيت الحالة الناشئة عنه
والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون

ومن مذهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يحمل على المتعلم
علمان معا فانه حينئذ قل ان يظفر باحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن
كل واحد منهما الى تفهم الآخر فيبغضانه معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة واذا فرغ
البال لتعلم ما هو بصدده مقتصرا عليه فربما كان ذلك اجدر بتحصيله والله سبحانه
وتعالى الموفق للصواب

٤ - الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاف الجسد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من
سوء الملكة ومن كان مربياه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدام سطا به
القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل
على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر
عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني
الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله
وصار عيالا على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل
فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين
وكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل ما

امور عليه ولا تكون الملكة الكاملة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل ذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح الشهور القبائح والمكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبد وا عليهم في التأديب، وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا، ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله، حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلما بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك امثال له فانه اعلم بمصلحته، ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشائخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وتيسه ما استطعت بالقرب والملاينة فان ابوها فعليك بالشدة والغلظة اهـ

٥ الرحلة في طلب العلوم لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم

والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون

من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاءً وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً واقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهما انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء اهل العلوم وتعدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها اغراض تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها مع قوة ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من الشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون

المدنية العجمية عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

(للشيخ ولي الله الدهلوي)

اعلم ان العجم والروم لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة وخاضوا فى لذة الدنيا ونسوا الدار الآخرة واستحوذ عليهم الشيطان تعمقوا فى مرافق المعيشة وتباهوا بها وورد عليهم حكماء الآفاق يستنبطون لهم دقائق المعاش ومرافقه فمازالوا يعملون بها ويزيد بعضهم على بعض ويتباهون بها حتى قيل انهم كانوا يعيّرون من كان يليق من صنائعهم صنعة اردأ جدًا فيستهادون مأدبة الف درهم اولا يكون له قصر شامخ وآبون وحمام وبساتين ولا يكون له دواب فارهة وغلمان حسان ولا يكون له توسع فى المطاعم وتجمل فى الملابس وذكر ذلك يطول

---

(١) ١١٧٦ هـ هو حكيم الاسلام وفيلسوف صلحاء الدين وامام الكبير قطب الدين احمد ولى الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمرى الدهلوى نزيل العلم على والده وعم تزا ناحته العرائم ، هو لم معاصر زلخامسة عشر من عمره واخذ بدرس ويفيد ويولف الى ان رحل فى سنة ١١٤٣ الى الحجاز واستفاد من علمائها وافاد واسند الحديث عن الشيخ ابى طاهر المدنى ورجع الى الهند وتخلت عن الدرس والافادة والتاليف والتجديد فى العلم والدين الى ان تاثرت به رحمه الله .

كان رحمه الله أبيه من آيات الله عبقريا نابغة من نوابغ الاسلام نال العلامة السيد صديق حسن خان القنوجي امير بهوبال وصين بهرزمان وكان فى العرب المقدمة احد من كبار الائمة المجتهدين فى الاسلام (مقامات الحريرى)

كان محدثا مفسرا فقيها اصوليا متكلما فيلسوفا طبابيا كان كاتما قديرا بالعربية سيال القلم مولفا مجيدا واكثر كتبه لم تخرج على ضوء الحديث خصوصا الفوز الكبير فى اصول التفسير ازالة الخفا فى خلافة الخلفاء وبرسالة الانصاف فى سبب الاختلاف ما كتابه الشهير حجة الله البالغة لم يجمع فى الاسلام كمثله ، بل لم تر مولفات لغة دين ، بيان حقانة وتطبيق العمل والنقل بشرح النظام الدين والياسه كما به يمتاز به وهذا العمل ما حذ منه

وساترك من ملوك بلادك يغنيك عن حكايا تهم، فدخل كل ذلك فى اصول معاشهم وصار لا يخرج من قلوبهم الا ان تمزع[1] وتولد من ذلك داء عضال دخل فى جميع اعضاء المدينة برأزة عظيمة لم يبق منهم احد من اسوا تهبر ورستاقهم وغنيهم وفقيرهم الا قد استولت عليه واخذت تبلابيبه[2] واعجزته فى نفسه واهاجت عليه غموماً وهموماً الا ابتهاجها وذلك ان تلك الاشياء لم تكن لتحصل الا ببذل اموال خطيرة ولا تحصل تلك الاموال الا بتضعيف الضرائب على الفلاحين والتجار واشباههم والتضييق عليهم فان امتنعوا قتلوهم وعذبوهم وان اطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر يستعمل فى النفع والدياس[3] والحصاد، ولا تفتش الا ليستعان بها فى الحاجات ثم لا تترك ساعة من الصناديد حتى صاروا لا يرفعون رؤسهم الى السعادة الاخروية اصلا ولا بتطييق ذلك وربما كان اقليم واسع ليس فيهم احد يهتم بدينه، ولم يكن يحصل ايضا الا بعتو متكبرين بتهيئة تلك المطاعم والملابس والابنية وغيرها ويتركون اصول المكاسب التى عليها مدار نظام العالم وصار عامة من يطوف عليهم يتكلفون محاكاة الصناديد فى هذه الاشياء والا لم يجد واعندهم حظوة ولا كانوا يدهم على بال، وصار جمهور الناس عند الأعلى الخليفة يتكففون منه زاهدة على اقدر من الغلاة والمبذرين للدنيا يسومهم، ولا يكون المقصود دفع الحاجة ولكن القيام بسيرة سلفهم، وتارة على انهم شعراء جرت عادة الملوك بصلتهم، وتارة على انهم زهاد وفقراء يقبح من الخليفة ان لا يتفقد حالهم فيضيق بعضهم بعضا وتتوقف مكاسبهم

---

(١) تقطع (٢) حوزه (٣) دراس الزرع دوسه

على صحبة الملوك والرفق بهم وحسن المحاورة معهم والقلق منهم وكان ذلك هو الذي تتعين انكاسهم فيه وتضيع اوقاتهم معه

فلما كثرت هذه الاشغال نتج في نفوس الناس هيآت خسيسة واعرضوا عن الاخلاق الصالحة، وان شئت ان تعرف حقيقة هذا المرض فانظر الى قوم ليست فيهم الخلافة ولا هم متمتعون في لذائذ الاطعمة والالبسة تجد كل واحد منهم بيده امره وليس عليه من الضرائب الثقيلة ما يثقل ظهره فهم يستطيبون التفرغ لامر الدين والملة، ثم تصور حالهم لو كان فيهم الخلافة وملأها هو بخمر والرعية وتسلطوا عليهم

فلما عظمت هذه المصيبة واشتد هذا المرض تحنن عليهم الله والملائكة المقربون وكان برضاه تعالى في معالجة هذا المرض بقطع مادته فبعث نبيّنا المبعوث صلى الله عليه وسلم لدرء مخالط الجور والظلم بترسيم برسومهم وجعله مبيزا بما يعرف به الهدى الصالح المرضي عند الله من غير المرضي، وابطاله بذم عادات الاعاجم وقبح الاستغراق في الحياة الدنيا والاطمئنان بها، ونفث في قلبه ان يحرم عليهم رؤس ما اعتاده الاعاجم و تباهوا بها كلبس الحرير والمُغَشّى[1] والاسجوف[2] واستعمال اواني الذهب والفضة وحلى الذهب غير المقطع، والثياب المصنوعة فيها الصور وتزويق[3] البيوت وغير ذلك وتعنى بزوال دولتهم بدولته وبرياستهم برياسته وبانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قد فلا قيصر بعده[4]

---

(١)، (٢)، ثياب حمر (٣)، نزويق البيت نقشه

(٤)، صحة هذه العالمة على اقامة الاستقامات واصلاح الرسوم

الوحدة والسيادة

من مقالة الشيخ محمد عبده في مجلة "العروة الوثقى"

واما السعي لاعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف الا وهي داعية اليه، جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه، حاظرة عليهم ان يتوانوا في اداء شيء منه، ومن الاوامر الشرعية ان لا يدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وفي السنة المحمدية والسيرة النبوية، مما يضاف لآيات القرآن مجموعة اسماء في مجلدات يطول عدها، هذا حكم ديننا الابرياب فيه احد من المؤمنين به، المستمسكين بعروته،

هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والتراكون الى الضيم ان ندعي القيام بفروض ديننا، كيف وعظم الاخطار الدينية موقوف اجراؤه على قوة الولاية الشرعية، فان لم يكن الوفاق والميل الى الغلب فرض لذا هما فلا يكونان مما لا يتم الواجب الا به، فكيف بهما وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا،

---

(١) ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ وقد بصروا نشأتها واحد وعشرين عاما ما في تعليم العقلية والنقلية والسائحة واستقى الدين من مشاربه الصافية ونزعت عليه الشريف احمد حسن آل الدين الاعلى مآثر جده وتعد بروحه وادخر في ذاكرته ونشر معه جريدة العروة الوثقى اصدرها من باريس ونشرها دعوة الدين والعلم والاصلاح والحرية ثم عاد الى وطنه وتولى منصب الافتاء وتوفي بتفسير القرآن بالازهر حتى تغمده الله الى ثوابه -

الشيخ محمد رشيد الصبر الحديد وطلبته الكتاب الحديد ين والعلماء المفكرين وعصبة العروبة والدين العاملة لخلاص العربية مستقلة من اساليب الغرب - عرفت في مواضع الكلام ترى الامام على سعة في كتابة ترجمانه من غير تكلف البلاغة وروعة لمعضلات عديدة واجلاها واعمها كتاب تاطن حواشيه العلامة السيد رشيد رضا الوحيد تلميذه ومستودع سره

هل لنا عذر نقدمه عند الله يوم العرض والحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين، وأين شفاعة البنا اقامتها وعديدنا ستة ملايين او يزيد، هل يتيسر لنا اذا خلونا بانفسنا وجادلتنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الآن ؟

كل هذه الرزايا التي حطت باقطارنا، ووضعت من اقدارنا، ما كان قاذفنا ببلائها، ورامينا بسهامها، الا افتراقنا، وتدابرنا والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه، لو اننا حفروا قلوبنا بما تلك الكلمة التي تمثل بها السنتنا، وتطمئن قلوبنا بذكرها، وهي كلمة الله العليا، هل كان يمكن للاغلب ان يمزق وامما كنا كل ممزق، وهل كان يلمع سيف العدوان في وجوهنا، وهل كنا نثير نيران الاعداء الا واقدامنا في صياصيهم، وايدينا على نواصيهم، ان لابناء الملة الاسلامية يقينا بما جاء به شرعهم لكن اين على صاحب اليقين بدين ان يقوم بما فرض الله عليه في ذلك الدين ؟

الٓمٓ ۚ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ۝

ولا ريبة في أن المؤمن يسره ان يعلمه الله صادقا لا كاذبا، واي صدق تظهره الفتنة ويمتاز به الصادق من الكاذب الا الصدق في العمل هل يود المسلم لو يعمر الف سنة في الذل والهوان وهو يعلم ان الاستسلام

بالحياة هو دليل الايمان ، ارضى ونحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا ان تضرب علينا الذلة والمسكنة ، وان يستبد فى ديارنا واموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يجتزر شريعتنا ، ولا يرقب فينا الا ولا ذمة ، بل اكبر همه ان يسوق علينا جيوش الغناء حتى يخلى منا ارطاتنا ويستخلف فيها بعدنا ابناء جلدته ، وجالية[٢] من امته ؟

لا . لا ، ان المخلصين فى ايمانهم الواثقين بوعد الله فى نصر من ينصر الله الثابت فى قوله :-

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

لا يتخاذلون عن بذل اموالهم وبيع ارواحهم ، والحق داع والله حاكم والضرورة قاضية ذات المنن . المبصر بنور الله يعلم انه لا سبيل لنصر الله وتعزيز دينه الا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين ، هل يسوغ لنا ان نرى اعلاما منكسة ، وأملاكنا ممزقة ، والغرعة تضرب بين الغرباء على ما بقى فى ايدينا ثم لا يبدى حركة ، ولا نجتمع على كلمة ، ونتدعى مع هذا اننا مؤمنون بالله و بما جاء به محمد ؟ ، وانجلتاه ليخطر هذا ببالنا ولا اظنه يخطر ببال مسلم يجرى على لسانه شاهد الاسلام

ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة فى حفظ حوزة الاسلام

---

(١) الأل العهد

(٢) الجالية الغرباء هاجروا ارطانهم

كل هذه صفات كامنة فى نفوس المسلمين قاطبة ولكن دعاهم بعض ما اشرنا اليه فى اعداد ماضية فالهاهم عما يوحى به الدين فى تلوينهم واذهلهم ان ما نا عن سماع صوت الحق ينادى بهم من بين جوانحهم. فسهوا وساغوا، ونزلوا و ماضلوا ولكنهم دهشوا وتاهوا، فمثلهم مثل جوّاب الجاهيل من الاردن فى الليالى المظلمة، كل يطلب عونا وهو معه ولكن لا يهتدى اليه، وارى ان العلماء العاملين لو وجهوا افكارهم لايصال اصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض لامكنهم ان يجدوا بين اهوائهم فى اقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل مسلم ان يحجه ما استطاع، وفى تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائرهم واجناسهم فى الاحتفال نقال بينهم من ذى مودة فى نفوسهم وتهتز لها أرجاء الارض، وتضطرب لها سواكن القلوب، هذا ما اعدّ لهم له العقائد الدينية فان اضفت اليه ما اذاب قلوبهم من تجدّدات الاجانب عليهم، وما ذاقت به صدورهم من عادات الاغراب على بلادهم حتى بلغت ارواحهم التراقى، ذهبت الى ان الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدًّا يوشك ان يكون فعلًا وهو متا يؤيد الساعين فى هذا المقصد، ويهيئ لهم فوزًا ونجاحًا بعون الله الذى ملخاب قاصده، وهو يرقى اليه ادعوا واليه أنيب

المدنية الغربية للسيد مصطفى الطفى المنفلوطي(١)

سأودع في هذه النظرة الخيال والشعر وداع من يعلم ان الاصراء ظمر شأنا وأجل خطرا من ان ويبحث فيه العابث باشال هذه النظرات التي هي بالهزل اشبه منها بالجد، والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جده وعمله

ان في ايدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الامة وديعة يجب علينا تعهدها والاحتفاظ بها والحدب(٢) عليها حتى نؤديها الى اخلافنا من بعدنا كما أداها الينا اسلافنا سالمة غير مارضة(٣) ولا متآكلة(٤)، فان فعلنا فذاك اولا. فرحمة الله على الصدق والوفاء وسلام على الكتاب الامناء

الامة المصرية امة مسلمة شرقية فيجب ان يبقى لها دينها وشرقيتها مهما جرى عليها في ارضها، وذهبت اهرامها في سمائها، حتى سبدل الارض غير الارض والسموات

ان خطوة واحدة يخطوها المصري الى الغرب بدل اليه اجله وتدنيه من محوى حميق يقبر فيه قبر الاحياء من بعده الى يوم يبعثون

لا يستطيع المصري بهذا الضعيف المستكين ان يكون من المدنية الغربية

---

(١) ولد السيد مصطفى لطفي في قرية منفلوط بصعيد مصر ونشأ بها وتلقى العلوم الازهرية واستقام وهو من ادب الشيخ محمد عبده ومعارفه وافضل رجل صرسد يا ساد خلود وكتب في "المؤيد" واستلفت الانظار الى نظراته توفي سنة ١٩٢٤ م

المنفلوطي كاتب نابغ من ابرع كتاب العربية على اختلاف القرون والعصور ولا اظن ان العربية انجبت كاتبا الرشق عبارة واشرق ديباجة في هذه القرون الاخيرة من عهد مصطفى المنفلوطي

(٢) الحدب على الشيء العطف عليه والعناية به (٣) ارضت الخشبة اكلها الارضة (٤) متآكلة من بعيد

ان داناها الاكدار من دقيق المخبز يمسك خشارة[1]، ويغلث لبابه، او الرادوق[2] من الخز يحتفظ بعقاره[3] ويستحسن برحيقه، فخليق له ان يتجنبها جهده، وان يفرسها فرار السليم من الاجرب

يريد المصري ان يقلد الغربي في نشاطه وخفته، فلا ينشط الا في غدواته و روحاته، وتعدد ته وفوسته، فاذا اجد الجد رأيته نفسه على ان يعمل عملا من الاعمال المحتاجة الى قليل من الصبر والجلد دب الملل الى نفسه دبيب الصهباء في الاعضاء، فالكرى بين اهداب الجفون

يريدان يقلده في رتاهيته ونعسته فلا يفهم منهما الا ان الاولى التأمث في الحركات والثانية الاختلاف الى مواطن الغسق ومخابئ الفجور

يريدان يقلده في الوطنية فلا يأخذ منها الا نعيقها[4] ونعيبها[5]، وضجيجها وصفيرها فاذا قيل له هذه المقدمات فان النتائج، اسلم رجليه الى الرياح الاربع واستقر[6] في فراره استقرار المهر الارن[7] فاذا سمع صفير الصافرمات رجلا، واذا رأى غير شئ ظنه رجلا

يريدان يقلده في السياحة، فلا يزال يترقب فصل الصيف ترقب الارض الميتة فصل الربيع حتى اذا حان حينه طار الى مدن او سرباطيران حمار الزاجل[8] لا يبصر شيئا مما حوله، ولا يلوي على شئ، تأوراءه حتى يقع على مجامع اللهو و مكامن الفجور وملاعب القمار، وهنا يبذل من عقله ومماله ما يعود من بعده فقير الراس والجيب، لا يملك من الاول ما يعوده الى طريق السفينة التي حمله في اوبته، ولا

---

(١) الخشارة الردى من كل شئ، مالاب لمن الشعير (٢) الصفاة او الكرباس (٣) عكر الخمر (٤)، (٥) صوت الطير (٦) استقر الغزير في جريه اقبل وادبر (٧) الأرن النشط

(٨) حمار الرسائل -

من اشانى اكثر من الجعالة[1] التى يجتدلها منه صاحب الجريدة ليكتب له بين حوادث محبته حادثة عودته سوشاة بجبل الاجلال والاحترام، مطرزة بوشائح الاكرام والاعظام

يريد ان يفنده فى ندم فلا يعرف منه الا كلمات يردها بين شدقيه ترديدا لا يلج فيه الى ركن من الحذق والتشبث، ولا يعتصم به من جهل شائن،

يريد ان يفنده فى الاحسان والبر فيترك جيرانه وجاراته يطوون حنايا الضلوع على معاه تتهب فيها نارا لجوع التهابا حتى اذا سمع دعوة الى اكتتاب فى فاجعة نزلت فى القطب الشمالى، او ثارة[2] الهت سيد ياجوج وماجوج بجعل اسمه فى فاتحة الكتاب، ورصد هبته فى مستهل جريدة الحساب

يريد ان يقلده فى تعليم المرأة وتربيتها فيقلده من علمها مقالة تكتبها فى جريدة او خطبة تخطبها فى محفل، ومن تربيتها التفنن فى الازياء، والمقدرة على استهواء النفوس، واستلاب الالباب

هذا شانه فى الفضائل الغريبة يأخذها صورة مشوهة وتقنية معكوسة لا يزن لها مغزى، ولا ينتحى بها منحدا، ولا يذهب فيها الى مذهب، فيكون مثله كمثل جملة الملتدنين الذين يقلدون السلف الصالح فى تطهير الثياب وتلوجير الاذى بالاقذار والاكدار، ويجارونهم فى اداء صور العبادات وان كانوا لا ينتهون عن فحشاء ولا عن منكر، او كمثل الذين يتشبهون بعمر فى ترقيع الثياب، وان كانوا احرص على الدنيا من صيارفة اليهود

اما شأنه فى رذائلها فانه اقدر الناس على اخذها كما هى فينتصر كما ينتحر

---

(١) الاجرة (٢) المرأة (٣) حادثة اليمة (٤) ينتحر نفسه

الغربي ويلحد كما يلحد وليتهتر في الفسوق استحثاثه[1]، ويتبرسم في أنحاء آثاره

ان في المصريين عيوباً جمة في اخلاقهم وطباعهم، ومذاهبهم وعاداتهم، فان كان لابد لنا من الدعوة الى اصلاحها: فلندع الى ذلك باسم المدنية الشرقية لا باسم المدنية الغربية

ان دعوناهم الى الحضارة فلنضرب لهم مثلا بحضارة بغداد وقرطبة[2] وتيبة وفينقيا، لا بباريس ورومة وسويسرة ونيويورك، وان دعوناهم الى مكرمة، فلنتل عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء الشرق[3] وحكمائه، لا آيات رنو وباكون ونيوتن وسبنسر، وان دعوناهم الى حرب، ففي تاريخ خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين، ما يغنينا عن تاريخ نابليون ولنجتون وواشنطون ونلسن وبلوخر، وفي وقائع القادسية وعمورية وافريقية والحروب الصليبية، ما يغنينا عن وقائع واترلو وترافلغار وأوسترليتز والسبعين

ان عار اعلى التاريخ المصري ان يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ نبوءات

---

(١) استحثه فلان اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل

(٢) عناه الله عن السيد مصطفى ان حضارة بغداد وقرطبة وتيبة وفينقيا ليست مثلا كاملا للحضارة التي ندعوا اليها ونشيد بذكرها وهو بالاختلاف كثيراً في روحها وفي كثير من مظاهرها عن حضارة عواصم اوربا التي سماها وليس من العدل والحكمة ان نحتقر غيرنا لانها شرقية او غربية ونفضل بعضها على بعض مادام يقتضي ذلك سوى حمية الجاهلية والفخر بالآباء، ان الحضارة الوحيدة التي نضرب بها مثلا هي تلك الحضارة الكاملة التي قامت على اساس القرآن وظهرت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وما كانت شرقية ولا غربية انما كانت انسانية عامة الهية في الوضع صنعها الله الذي اتقن كل شيء (المنفي)

(٣) الانبياء ليسوا كالقادة السياسية وزعماء الشعوب والاولهان من حظ الشرق والغرب انما هم رسل رب العالمين ورسل المغارب والمشارق

مالا يعرف من تاريخ عمرو بن العاص، ويحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية ، مالا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمدية، ومن مبادئ ديكارت وابحاث درون مالا يحفظ من حكم الغزالي وابحاث ابن رشد، ويروى من الشعر لشكسبير وهوجو مالا يروى للمتنبي والمعري

لا مانع من ان يدرّب لنا المعرّبون المفيد النافع من مؤلفات علماء الغرب والجيد الممتع من ادب كتّابهم وشعرائهم على ان ننظر فيه نظر البحث المنتقد لا الضرير المستسلم، فلا نأخذ كل قضية علمية قضية مسلّمة ولا نطرب لكل معنى ادبي طربا مبتهولا، ولا مانع من ان ينقل الينا الناقلون شيئا من عادات الغربيين ومصطلحاتهم في مدينتهم على ان ننظر اليه نظر من يريد التبسط في العلم والتوسع في التجربة والاختبار، لا على ان نتقلدها وننتحلها وننفذها قاءت بنا في استحسان ما نستحسن من شؤوننا، واستهجان ما نستهجن من عاداتنا

وبعد فيعلم كتاب هذه الامة وقادتها انه ليس في عادات الغربيين واخلاقهم الشخصية الخاصة بهم ما نحسدهم عليه كثيرا، فلا يخدعوا أمتهم عن نفسها، و لا يصدّوها عليها دينها وشريعتها، ولا يزيّنوا لها تلك المدنية تزيينا يرزؤها[1] في استقلالها النفسي، بعد ما رزأها السياسة في استقلالها الشخصي[2]

---

(١) ينتقصها (٢) النظرات لمصطفى لطفي

وحي الهجرة، للسيد مصطفى صادق الرافعي(١)

نشأ النبي (ﷺ) في مكة، وأستنبئ على رأس الاربعين من سنّه، و غبر(٢) ثلاث عشرة سنة يدعوا إلى الله قبل ان يهاجر إلى المدينة، فلم يكن في الاسلام اوّل بدأته إلا الرجل وامرأة وغلام، اما الرجل فهو هو (ﷺ) واما المرأة فزوجه خديجة، واما الغلام فعليّ ابن عمه ابي طالب،

ثم كان اول النمو في الاسلام حُرٌّ وعبد! اما الحرّ فابو بكر، واما العبد فبلال ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء والهموم في سيرها وصبر الحُرّ في تجلّده، وكان التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامدٌ لا ينمو! وكان النبي (ﷺ) اخو الشمس، يطلع كلاهما وحده كل يوم حتى اذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول الى المدينة، بدأت الدنيا تتقلقل(٣) كأنما مرّ يقتدمه على مركزها فحركها، وكانت خطواته في هجرته نخطّ في الارض ومعانيها نخطّ في التاريخ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب

---

(١) السيد مصطفى صادق الرافعي اديب راسخ لا يزال ولا يعرف، وسيعرفه حاذق كما عرفه كل اديب وناقد مصقوله، يلفظ الدرر وينفث السحر واذا حكى حادثة ترديه يبنيها على اساس رواية تاريخية او جملة فكأنما مرّة التاريخ على اعقابه واذا تلا ابن المقفع او تكلم به كأنما ابرز نخبة خطبة لكتاب «كليلة ودمنة» وناهيك بما قال الامير شكيب ارسلان ما معناه ان العربية لم تنجب مثله من عدة قرون

الا انه قد يلوح في التقشف في الادب ويعقّد، وفي قريبًا، له اعجاز القرآن وحي القلم مجموع مقالات له ورسائل ادبية

(٢) غبر مكث (٣) تقلقل التقى تحرك

لقد كان فى مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين يرونه بريقًا وشعاعًا ثم لا قيمة له، وما بهم حاجة اليه، وهو حاجة بنى آدم الا المتوحشين وكانوا فى الحادّة[١] والخالفة الحمقاء، والبلوغ بدعوته مبلغ الاوهام والاساطير، كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليلة قارّة الى مداواة جسمه باشعة الكواكب، وكانت سكة هذه صخرًا جعفرًا فيه يقطع ولا يبين وكان الشيطان نفسه وضع هذا الحجر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا واهلها،

فأوذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكذّب واهين، ورجعت به الوادى بخطو فيه على نزلان منقلب، وتابذه قومه وبذامروا[٢] به، وحضّ بعضهم بعضًا عليه وانصدفت[٣] عنه عامّة الناس وتركوه الا من حفظ الله منهم، واصحب كبرًا باليتم من قومه، كما أصيب صغيرًا باليتم من ابويه.

وكان لا يجمع بقاء مريد من العرب له اسمٌ وشرفٌ، الا نصدّى له فدعاه الى الله وعرض نفسه عليه، ومع ذلك بغيت الدعوة نلوح وتختفى كما يشفّى البرق من سحابة على السماء، ليس الا أن يُرى ثم لا شئ بعد ان يُرى!

فهذا ما سبق ما قبل الهجرة فى جملة معناه، غير انى لم اقرأه تاريخًا، بل قرأت

---

(١) حالة عاداه وغاظه ٢٠. تذامر القوم تحاضوا على القتال،

(٣) انصدفت اعرضت واردد

فيه فصلاً رائعاً من حكمة الهية، وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الاسلام في الارض مقدمةٌ من الحوادث والايام تجيا وتمرُّ في نسق الرواية الالهية المنطوية على رموزها واسرارها، وتظهر فيها رحمة الله تعمل بقسوة، وحكمة الله تتجلى في خصوص، فلو انت حققت النظر لرأيت تاريخ الاسلام يتألّه في هذه الحقبة، بحيث لا تقرؤه النفوس المؤمنة الاخاشعة كانها تصلّي ولا تندبّره الا خاضعة كانها تتعبّد

بدأ الاسلام في رجلٍ وامرأةٍ وغلام ثم زاد حتى وعبدًا، البست هذه الخمس هي كل اطوار الشريعة في وجودها، محلوقة في الانسانية والطبيعة ومصوغةً في السياسة و الاجتماع؛ فها هنا مطلع القصيدة، واوائل الرمز في شعر التاريخ؛

ولبث النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ثلاث عشرة سنة لا بغية قومه الا اثرٌ على انه داعٍ يطلب ثم لا يجد، ويعرض ثم لا يقبل منه، ويخنق ثم لا يعتريه اليأس بجهدهم لا يتحونه الملل، وليتمرّ ماضيا لا يتحرف، ومعتزمًا لا يتحوّل، اليست هذه هي اسمى معاني العربية الانسانية اظهرها الله كلها في نبيّه، فعمل بها وثبت عليها، وكانت ثلاث عشرة سنةً في هذا المعنى كمرط فتل ولد ونشأ واحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمته الرجولة الكاملة بعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها؛

افلا ترى هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلّم المسلمين كيف يجب ان ينشأ المسلم غناه في قلبه، وقوّته في ايمانه، وموضعه في الجبوة موضع النافع قبل المنتفع والمصلح قبل المقلّد، وفي نفسه من قوة الحياة ما يبوتُ به في هذه النفس اكثر

---

(١) خشن الرجل طلب حاجة فلم يدركها (٢) بحوّ تدريا تيه في وفته، بيناوبه

ما فى الارض والناس من شهوات ومطامع ؟

ثم اليست تلك العوامل الاخلاقية هى التى القيت فى منبع التاريخ الاسلامى ليعب منها تياره، فتدفعه فى مجراه بين الامم، وتجعل من اخص الخصائص الاسلامية فى هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة وان لم تتقدم، وعلى الحق وان لم يتحقق، والتبرؤ من الاثرة وان شحت عليها النفس، واحتقار الضعف وان حكم وتسلط، ومقاومة الباطل وان ساد وغلب، وحسن الناس على محض الخير وان ردّوا بالعنّ، والعمل للعمل وان لم يأت بثمن، والواجب للواجب وان لم يكن فيه كبير فائدة، وبقاء الرجل رجلا وان خطّمه كل ما حوله ؟

ثم هى البرهانات القائمة للدهر قيام المنارة فى الساحل — على نبوّة محمد — (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس انه روح وغاياته المحتومة بالقدر لا جسمٌ ووسائله المتغلبة بالطبيعة، ولو كان رجلاً اشعثته نفسه، لتحمّل الحنين لسياسته ولأحدث طمعا من كل مطمع ولركد مع الحوادث وهبّ، ولما استمر طوال هذه المدة لا يتحه وهو درةٌ الاتجاه الانسانية كلها كما تراه هى،

✓ ولو كان رجل الملك او رجل السياسة، لاستقام والتوى، ولادرك ما يبتغى فى سنوات قليلة ولا وجد الحوادث ينطلق عليها، ولما افلت ما كان موجودًا منه يتعلق به، ولما انتزع نفسه من محله فى قومه وكان واسطةً فيهم، ولا ترك عوامل

---

(١) هبّ المحرك هبوبه وانتفع، والنيار موج البحر الطامح.

الزمن بُعده وهي كانت تدنيه

قالوا : ان عمه ابا طالب بعث اليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن اخي، ان قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فابق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الامر ما لا اطيق، فظن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قد بدا لعمه فيه بداءٌ[1] وانه خاذله ومسلمه، وانه قد ضعفت عن نصرته والقيام معه، فقال: يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر (صلى الله عليه وسلم) فبكى

يا دموع النبوة ! لقد اثبت ان النفس العظيمة لن تتنزى عن شيء منها بشيء من غيرها كائنًا ما كان لا من ذهب الارض وفضتها، ولا من ذهب السماء وفضتها اذا وضعت الشمس في يد والقمر في الاخرى.

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست الا دليل ذلك الزمن على انه زمن نبيّ، لا زمن ملك او سياسيّ او زعيم، ودليل الحقيقة على ان هذا اليقين الثابت ليس يقبس الانسان الاول من جهة قوته بل يقبسه الانسان الاعلى من جهة قبلة ودليل الحكمة على ان هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التي تنشرها عدوى النفس النفس، فما هو الا يبلغ اهله في ثلاث عشرة سنة اكثر مما تبلغ اسرةٌ تتوالد في هذه الحقبة ودليل الانسانية على انه دين الله بايجاد الاخاء العالمي والوحدة الانسانية، اذ لم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه في العالم !

ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر ليلا تثبت ان النبي (صلى الله عليه وسلم) ليس رجل دنيا، ولا سياسة، ولا زعامة، ولو كان واحدًا من هؤلاء لادرك في قليل، ولبيع

---

[1] اي نشأ له رأي جديد فيه وعذرًا كما يقولون رجع عن طلبه

مبتدع شريعة من نفسه والا الماغير في قومه وكان لم يجدهه وهم حوله ؟
وليس صاحب فكرة شغل أساليب النفس في انتشارها، ولو كانه لحساهم على
محنها وسوجها، وليس رجلا استغلقا بالمصادفات الاجتماعية، ولو هو كان
لجعل ايمان يوم كفر يوم، وليس مصلح عشيرة يجذب منها على قدر ما تقبل
منه سياسة ومخادعة، ولا رجل وطنه تكون غايته ان يشمخ في ارضه
شموخ جبل فيها دون ان يحاول ما يبلغ اليه من اطلاله على الدنيا اطلال
السماء على الارض، ولا رجل حاضره اذا كان واثقا دائما ان معه الغد
وآتيه، وان ادبر عنه اليوم ذاهبه، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما
يلتمس الجائع لبطنه، ولا رجل شخصيته يسهو عن جاره ويحس، ولا رجل بطشه
يغلب به ويتسلط، ولا رجل الارض في الارض ولكن رجل السماء
في الارض،

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه حتى الهجرة إذ قبض عنه اطراف
الزمن، بحصر من ثلاث عشرة سنة في سنة واحدة، لا يصدر به الامور مصادرها
كما تثبت انها لا تصدر به، ولا تستحق به الحقيقة على انها ليست من قوته
وعمله،

وكان (صلى الله عليه وسلم) على ذلك - وهو في حدود نفسه وضيق
مكانه يتسع في الزمن من حيث لا يرى ذلك احدٌ ولا يعلمه، وكانما كانت
شمس اليوم الذي سينتصر فيه قبل ان تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة -
مشرقة في قلبه (صلى الله عليه وسلم)

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يوخرونه ؛ لانه من سير الكون كله والصحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح ومع النبي من مثل ذلك برهان الله على رسالته الى ان نزل قوله تعالى

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)

فحل الفصل ؛ وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة

تلك هي المقدمة الالهية للتاريخ ، وكان طبيعيًا ان يطرد التاريخ بعدها حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به امطري حيث شئت فسيأتيني خراجك (١)

---

(١) وحي القلم الرافعي جلد ٢

تحيّة الأندلس للأستاذ محمد كرد علي

عشقها ولم تسعد في الأيام بإمتاع النظر في جمالها، واستطلعت[1] طلع أخبارها فروى الرواة عنها عجائب أقلها ما يستهوي النفوس المتمردة ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية، تفرعت بين بنات جيلها بما خصّت به من معاني الحسن والإحسان فكثر المُحبّون والطلاب، وهي لا تفتأ تبدي لمن أرجاها أصنافاً من اللطف والظرف وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم، وترشقهم بنظرات، لا تخلو من غمزات تريد بها المزوء بنكبات الزمان، والاستهتاف ببعض نزعة الإنسان

عشقها منذ عهد الصبا، وعشق الصبا شديد. لما فرأته الباصرة من وسيم بهجاها وحملته إلى البصيرة تفكرت فيه، وتدبرت خوافيه وحواشيه، ولا زال في خواطرها ما سمعت من أن أناساً قبلي أصيبوا بما أُصبت به، وعدّوا النزول في حماها ولو ساعة سعادة العمر، وحسنة الدهر: العشق فنون وعشقي كان لأرض الأندلس على ما فيها من كل عجيب (أتت الأمم سلام على مرّ العصور والأيام)

عشقها لكثرة ما رأيت من آثارها درجوا على أديمها من ابتدائها

---

(١) وتُعين الجمع الحلو. (٢) عشق سابقة: المولعة، الأديب والمؤرخ الشهير والكاتب المجيد يجمع بين حزالة القديم ورشاقة الجديد لمحاسن الأندلس وغيرها وغرائب الغرب وغير ذلك من المؤلفات الممتعة الفائقة. (٣) استطلع رأي فلان واستطلع رأيه نظر ما عنده من رأي. الطلع كبر الطلع والجمع من الطلع. (٤) مشتها. (٥) سمح. (٦) من وظهرها. (٧) الفجيعة مكلمة يعني بها الإنسان على الإجارة في نظم الشعر وبالكتابة.

وغيرها نشأ، وكانت الخيلة تصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء، وآخر كان بالطبع كالخيال، في الاندلس تمخضوا نصف مدنية العرب الباهرة، وتقدموا في ارجائها بخطوات ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة، و دور ظهور البدائع وارباب الابداع والقرائح[1] وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واجدت، لم تيسر لها حتى يومنا هذا ان تبلغ مكانة الاندلس، فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب، وآخر ارض العرب، بين البحرين المحيط والمتوسط برهانا ازليا على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعيا[2] على من انكر والافراط هم في الشعوبية[3] فضل هذه الامة على الحضارة،

- اقام الغربيون ضروبا من المصانع من بيع[4] وديار ومتاحف ومكاتب و مدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب وبرك، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشان، منذ عهد اليونان والرومان، طرزا من البناء يكلمك ولا لسان له كيف يقول، وينظر اليك فيعمل في نفسك، قلبك ولا عين له فتنظر، ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة[5] ولا وتر ولا الحان، مصانع كثيرة بقيت بقايا ها في طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الغفلة والجهل تارة شطرا من بهائها، وسالمتها حينا فابقت عليها، او رممت شيئا مما أضرت به عوامل الايام وان لم ترقد اليها نضرتها الاولى،

---

(١) القريحة ملكة يقتدر بها الانسان على الاجادة في نظم الشعر او الكتابة (٢) سماذا ناعيًا.

(٣) العصبية الجنسية والقومية، وغالبا يستعملون هذه الكلمة لتصغير شان العرب وعدم تفضيلهم على العجم

(٤) البيعة المعبد للنصارى واليهود (٥) آلة غناء

سلام على ارض طيبة خصها الخالق بأجمل الهبات الطبيعية الطيبة، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها ووهادها، ولا مياهها عذبة دافقة من هضابها على شعابها، ولا اشجارا باسقة وزروعا خصبة في سهلها ووعرها ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم، ومعهد[1] ابدان زانها الصانع السماوي بايجاده كما زانها الصانع الارضي بابداعه وما اجمل الطبيعي بالصناعي، اذا تواعدا الى الاجتماع في خير البقاع،

ليالي الاندلس، في جزيرة الاندلس، وايامها الغر، في سالف الدهر، فيك تألقت سوق الآداب، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ماعدا الأدب، وما هذه الآثار الابدية الاثيرة علمك وصناعاتك وزراعاتك: سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك ما كان ارجح احلامهم، يوم سدوا العرب سنة الاخذ من السعادتين، وشرعوا لهم شرعة المدنية الشاملة، حملوا فاجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فاد هشوا من عاصرهم، وخلفهم من الاجيال، ونجموا لهم على غير مثال نسيجا رقيقا، كتبوا لهم فيه بحلا رقت حواشيه، وانظاما متقنا في حكم الانسان للانسان، يطبع في تاليه اذا تدبره، طبيعة حسن الذوق والطبع، وينشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال، مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة، وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم

---

(١) المعهد بفتح الصاد وكسرها ما يعلب العهد ويحفظها وارض معهدة وبها من الاوباء

وحق لهم الفخر، لان الاندلس العربية الاسلامية كانت ومازالت مدرسة الغرب المسيحي، نزل طلابه فى قرطبة والمظلمة على علماء العرب فاستوعبوا من مكارم اخلاقهم واكرموا مثواهم بما علموهم وما اسخى العربي على طالب قراه والمستجير به فلما جاء دور الاختلاط، وازف رحيل ذاك الرعيل من ارض كان الغرب كله يعدم فيها الفضل دخيل، ابقى الدهر تلك المصانع ناطقة بفضلهم معنية لهم معانى ليست فى معاجم لغاتهم، وشكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس، ويغمط الحق لصاحبه، وليس هو به الغرض، فيشوه وجه الحق الجميل،

الى اليوم لم نزل فى الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من بواعث النفوس الدنيئة، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامة فى كتبهم مرجعا من اعمال هذه الحضارة العربية، ومن ذلك الاثر الضئيل الباقى من عادياتها الاندلسية، الا برهان جلى على ان هناك من عدل شامل، وعقل كامل، ونظر نافذ، ويد صناع، أربت على ما عمل من مثلها فى سائر البقاع والاصقاع

---

(١) النزل ما يهيأ له (٢) اسم كل نخلة تنفرد من فحل او طرا او رحال ج رعال
(٣) الاشياء القديمة البالية (٤) فاتت زادت
(٥) عاديات ما بقى فيها الاستاذ كرد على

سيدي أحمد الشريف السنوسي للامير شكيب ارسلان[1]

عندما قدمت الى الاستانة اواخر سنة ١٩٢٣، وهي اول مرة دخلتها بعد الحرب قررت لاجل الاستجمام[2] من عناء الاشغال وترويح النفس بعد طول النضال[3] ان اسكن ببلد صغير تتهيأ لي فيه العزلة وتسهل الرياضة، ويكون دانيا من وطني سورية لملاحظة شغلي الخاص، وتعهد املاكي فيها، فاخترت مرسين، والقيت مرساة غربتي فيها، وكان السيد السنوسي بلغه قدومي الى دار السعادة، فكتب لي يرغب الي في سرعة المجيء ويرحب بي، فلما جئت الى مرسين ذهبت ثوّا[4] لزيارته وقابلته الان انزل عنده، ريثما اكون استاجرت منزلا في البلدة، وقد رأيت في هذا السيد السند، بالعيان، ما كنت اتخيله عنه بالسماع وحق لي والله ان انشد :-

كانت محادثة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... اذني باحسن مما قد رأى بصري

رأيت في السيد حبرا جليلا، وسيدا غطريفا[5] واستاذا كبيرا، من انبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي، جلالة قدر، وسراوة[6] حال ورجاحة عقل وسماحة[7] خلق

---

(١) امير البيان وكاتب الشرق الاكبر من مولفي هذا العصر المكثرين مع الاجادة في الكتابة بالرسوخ في العلم خدم بقلمه خدمة السيف وحرم عليه قلمه ان يطأ بغد مرامي المسلمين

بتاز الامير بان كتاب هذا العصر بالتمكن من اللسان وامتلال العرب بالاساليب القديمة

ومن اكبر حسناته واعماله الخالدة حواشيه على حاضر العالم الاسلامي وترجمة السيد السنوسي ملتقطة منها

(٢) الاستراحة (٣) الحرب والعمل واسلحة الرمي بالسهام وكان الامير مشغولا في حرب طرابلس

(٤) بمثل جاء توا اي قاصدا لا يترجه شيء

(٥) الغطريف السري والسيد الحسن (٦) المروءة والنجاء (٧) وسماحة الخلق وليونة وسهولته

و كرم مهزة وسرعه فهم، وسداد رأى، وقوة حافظة من الوقار الذى لا تنقص من جانبه الوداعة[1]، والورع الشديد فى غير رياء ولا سمعة انه لا يرقد فى الليل أكثر من ثلاث ساعات، ويقضى سائر ليله فى العبادة والتلاوة. والتهجد، ورأيته مرارا تنضج[2] بين يديه السمك الفاخرة اللائقة بالملوك فيأكل العضيوت والحاشية ويجتزى هو بطعام واحد لا يصيب منه الا قليلا؛ وهكذا فى عادته، وله مجلس كل يوم بين صلاتى الظهر والعصر لتناول انشاى الاخضر الذى يؤثره المغاربة، فيأمر بحضور من هناك من الاضياف ورجال المعية، ويتناول كل منهم ثلاثة اقداح شاى ممزوجا بالعنبر، فاما هو فيتحامى[3] شرب الشاى لعدم ملائمته لصحته، وقد يتناول من الخناع، ومن عادته انه يوقد فى مجالسه غالبا الطيب، وينبسط السيد الى الحديث، واكثر احاديثه فى قصص رجال الله واحوالهم ورقائقهم وسير سلفه السيد محمد بن على السنوسى، والسيد المهدى، وغيرهما من الاولياء والصالحين واذا تكلم فى العلوم قال فولا سديدا، سواء فى علم الظاهر او علم الباطن،

وقد لحظت منه صبرا قل ان يوجد فى غيره من الرجال وعزما شديدا تلوح سيماءه على وجهه، فبينما هو فى تقواه من الابدال اذا هو فى شجاعته من الابطال وقد بلغنى انه كان فى حرب طرابلس يشهد كثيرا من الوقائع بنفسه، ويبتلى جواده بضع عشرة ساعة على التوالى بدون كلال، وكثيرا ما كان يغامر[4] بنفسه ولا يقتدى بالامراء وقوّاد الجيوش الذين يتأخرون عن سيدان الحرب

---

(١) الاريحية (٢) السكينة (٣) تتبسط (٤) يجتزئ ويجتنب (٥) يلقيها ويخاطرها

مسافة كافية، ان لا تصل اليهم يد العدو فيها لو وقعت هزيمة وفي احدى الدوائر اوشك ان يقع في ايدي الطليان، وشاع انهم اخذوه اسيرًا، وقد سألته عن تلك الواقعة فحكى لي خبرها بتفاصيله وهو انه كان ببرقة فبلغ الطليان بواسطة الجواسيس ان السيد في قلة من المجاهدين، وغير بعيد عن جيش الطليان، فرحوا اليه قوة عدة الآت ومعها كمر با خاصة لركوبه، اذ كانوا اعتقادهم انه لا يفلت من ايديهم تلك المرة، فبلغه خبرهم وكان يمكنه ان يخبئ عن اللقاء او ان يعرف بنفسه الى جهة يكون فيها بمنجاة من الخطر، او يترك الحرب للعرب تصادمهم فلم يفعل وقال لي «خفت ان ظنوا ان طلبت النجاة بنفسي، اصاب المجاهدين الوهل، فدارت عليهم الدائرة فثبت الطليان وهم بضعة آلاف بثلثمائة مقاتل لا غير، واستماتت العرب وصدموا العدو، فلما رأى هؤلاء وفرة من وقع من القتلى والجرحى ارتدوا على اعقابهم، وخلصنا نحن الى جهة وانتشر جموع المجاهدين» قال لي، وفي هذه الوقعة جرح الضابط نجيب الحوراني، الذي كان من اشجع ابطال الحرب بطلا بليغا، كان فائدا ولكنه كان مقاتلا بنفسه في كل واقعة، فجرح مرتين واستشهد في الثالثة رحمه الله، ولم يحزن السيد على احد حزنه عليه، لما هو جاء عنه وشديد اخلاصه، وكان لسيد يكتب لي من اخبار الاحضروا والثناء عليه وهو اليوم مدار الترحم عليه، والشهيد المذكور هو نجيب بك بن الشيخ سعد العلي من شائخ بلاد عجلون، ترك في بلاد العرب ذكرا خالدا،

---

(١) اصل اطانيه (٢) ارسوا وحتى (٣) تعدل في مصرف (٤) يسبى (٥) شتوا بطلوا السموت لانفسهم (٦) عن سرعاد ثبتها في الخطر

والسيد احمد الشريف سريع الخاطر، سيال القلم، لا يحل الكتابة اصلا، وله عدة كتب منها كتاب كبير اطلعت عليه فى تاريخ السادة السنوسية، واخبار الاعيان من مريديهم والمنتسبين جمع، ينوى طبعه وننشره فيكون احسن كتاب لمعرفة اخبار السنوسيين وانما يفهم الانسان من مطالعة اخبار سيدى محمد السنوسى، وولده سيدى المهدى، و حادثة سيدى احمد الشريف، ان طريقتهم طريقة عملية، تعمل بالكتاب والسنة ولا تكتفى بالاذكار والاوراد، دون القيام بعزائم الاسلام، كما كان عليه الصدر الاول ولذلك وقفوا للجهاد ووقفوا فى وجه دولة عظيمة كدولة ارذ اليه، منذ ثلاث عشرة سنة، لولاهم كانت سيدة لطرابلس وبرقة منذ اول شهر من غارتها عليهما، و يذكر الناس ان الطليان قدروا التدويخ طرابلس وبرقة كلها امدة خمسة عشر يوما، من اول نزولهم، وان قوادا من الانكليز الحنكين فى حروب المستعمرات والبوادى، قالوا ان الطليان افرطوا فى التفاؤل بتملكهم الاستيلاء على برطرابلس فى ١٥ يوما، والحقيقة انه قد تأخذ هذه المسئلة معهم، ثلاثة اشهر. فليتنظر الانسان كيف ان المدة التى قدرها اركان الحرب فى ايطالية ١٥ يوما وقدرها اركان الحرب فى انكلترة ثلاثة اشهر تطاولت ثلاثة عشر سنة كاملة والحرب البوهرى كما كانت فى بدايتها، وكل هذا بفضل السادة السنوسية، ولاسيما هذا السيد العظيم سيدى احمد الشريف، وكان الاوربيون فى عهد السلطان عبد الحميد ينكلون الى السلطان حركة السنوسى، ويتوجسون خيفة من تشكيلاته وحركاته ويرون فيه اعظم خصم للدعوة الاوربية فى افريقية، وطالما ضغطت دول اوربا على السلطان لاحمل ان يبتدى

القهر والاستيلاء عليها ١٥ الجزء

السيد المهدى الى الاستانة ، ويامره بالاقامة بها ، ولا يأذن له بالعودة الى وطنه ، غاصوا للاوربيين الجو فى تقسيم اواسط افريقية ، وخضد[1] الشوكة الاسلامية فى تلك الديار ، فكان السلطان يماطل هاتيك الدول ، ويعيد رسلهم بصنوف الاعذار ، بل كان يلاطف السنوسى كثيرا بالهدايا والكتابات ، الى ان اشتد الضغط على السلطان فى قضية السنوسى ، فارسل رجلا اسمه عصمت بك الى بنغازى ، ومنها الى جغبوب ، بامورية سرية ، فبلغ المهدى ما هو عليه السلطان من الارتباك[2] من جهة ضغط الدول عليه فى امر الدعاية السنوسية ، فاجابه السيد المهدى بحسب ما قرأت فى التاريخ الذى تقدم ذكره ، بكلام لا يتضمن نفيا ولا ايجابا ، وانما تلا له آيات كريمة فى معنى الاتكال على الله ولكن السيد المهدى لم يعبث[3] بعد ذلك ان فارق جغبوب الى واحة الكفرة وبنى فيها زاوية التاج ، وعمر الكفرة عمارة جعلته جنة فى وسط الصحراء ، والاغلب ان سبب نحوله من واحة الجغبوب القريبة من مصر وبرقه ، الى واحة الكفرة ، التى هى فى اواسط الصحراء الكبرى ، شعوره بغلبة الكفرة الى ناحية قدر الله اختيارها الله فيها ، وهى على ابواب السودان هما من ارتياحه الى العزلة ، وميله الى التنائى عن مراكز السلطة الرسمية ، والخروج من مناطق تأثير الدول الاستعمارية بحيث اتخذ مزاراً محاطاً[4] بالرمال والقفار ، ما هولة يا قوام لا يزالون على الفطرة ، واصبح حرا فى بث دعوته لا تصل اليه يد تضغط ، ولا تتناوله فوق كلمته كلمة وعلى تعذيب تلك الاقوام ، ونشأتهم فى طاعة الله بعد ان كانوا يتكسبون فى

---

(١) الخضد الكسر (٢) الارتباك (٣) لم يطل العهد اى لم يلبث ان فارق
(٤) اتخذه مكانا ان اتخذه بمنزل يكون بعيدا .

مواسم الجهل فبدّلت به الارض غير الارض، وانقلبت به اخلاق هاتيك الامم انقلابا باحير العقول، ولم يقف فى الدعاية الروحية على واحات الصحراء، واطراف السوادين، بل بثّ دعاته فى اواسط افريقية فكان منهم مثل الشيخ محمد بن عبدالله السنّى، والشيخ حمودة المقعاوى، والسيد طاهر الدغمانى، ورجالات آخرين نصبوا السوادين مبشرين وهادين، فكان السيد المهدى هو المزاحم الاكبر لجمعيات المبشرين الاوربية، المنبثة فى قارة افريقية كلها، وعلى يده وبسبب دعايته الخبيثة اهتدى للاسلام ملايين من الزنوج، فلهذا جمعيات المبشرين باسرها تشكو حزنها، وبثّها من نجاح الاسلام فى اواسط افريقية، مثل بلاد النيجر والكونغو والكاميرون، وديار بحيرة تشاد، وتوجه اكثر شكواها الى الطريقة السنوسية، كما يظهر ذلك فى مؤلفات اوربية عديدة: هذا من جهة القوة الروحية وأما من جهة القوة المادّية، فقد كان السيد المهدى يهدى هدى الصحابة والتابعين، لا يقتنع بالعبادة دون العمل، ويعلم ان احكام القرآن محتاجة الى السلطان، فكان يحث اخوانه ومريديه دائما على الفراسة، والرماية، ويبث فيهم روح الانفة والنشاط، ويحملهم على الطراد والجلاد، ويعظم فى اعينهم فضيلة الجهاد، وقد اثر عنه دروس وعظه فى مواقع كثيرة، لاسيما فى الحرب الطرابلسية التى اثبت بها السنوسية ان لديهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى وتضارع اعظمها جبروتا وكبرا، وليست الحرب الطرابلسية وحدها التى كانت مظهر بطش

---

(١) تكلم تمادى فى الباطل (٢) بيداء الجهل وادويته (٣) السرية

السنوسيين بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيس فى مملكة كانم ومملكة وادای من السودان استمرت من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣٣٠ هجرية وحدثنى السيد احمد الشريف ان عمه المهدى كان عنده خمسون بندقية خاصة به، وكان يتعاهدها بالمسح والتنظيف بيده لا يرضى ان يمسها له أحد من اتباعه المعدودين بالمئات. قصدا وعمدا ليقتدى به الناس ويحتفلوا بامر الجهاد، وعدته وعتاده، وكان نهار الجمعة يوما خاصا بالفرنيات الحربية، من طراد ورماية، وما أشبه ذلك. فكان يجلس السيد فى مرقب عال، والفرسان تنقسم صفين، ويبدأ الطراد، فلا ينتهى الا فى آخر النهار، واحيانا يضعون هدفا، ويأخذون بالرماية حتى كنت ترى طلبة العلم والمريدين اكثرهم فرسانا ورماة، لكثرة ما كان يأخذهم بهذا المران، وكان يجيز الذين يسبقون فى الطراد أو يقرطسون فى الرمى بجوائز ذات قيمة، تزيد بالهمم فى فضائل الحرب كما انه كان يوم الخميس من كل اسبوع مخصصا عندهم للشغل بالايدى، فيشتركون فى ذلك اليوم الدروس كلها، ويشتغلون بانواع المهن من بناء، ونجارة وحدادة، ودباغة، وصباغة، وغير ذلك.

لا تجد منهم فى ذلك اليوم الا عاملا بيده والسيد المهدى نفسه يعمل بيده لا يفتر حتى يتبعه فيهم روح النشاط للعمل، وكان السيد المهدى وابوه من قبله، يهتمان جدا الاهتمام بالزراعة، والغرس تستدل على ذلك من الزوايا التى شادوها، والجنان التى نسقوها بجوارها، فلا تجد زاوية الا ولها بستان أو بساتين، وكانوا يستجلبون

---

(١) مجلس الامام اقرطاس اى الفرنس

اصناف الاثمار الغريبة الى بلاد هرمز اقاصى البلدان، وقد دخلوا فى الكفرة وجنوب زراعات واغراسا لم يكن لاحد هناك عهد بها، وكان بعض الطلبة يلتمسون من السيد محمد السنوسى ان يعلمهم الكيمياء فيقول لهم: "الكيمياء تحت سكة المحراث" واحيانا يقول لهم: "الكيمياء هى كد اليمين وعرق الجبين". وكان يشوق الطلبة والمريدين الى القيام على الحرث والصناعات، ويقول لهم جملا تطيب خواطرهم، وتزيد رغبتهم فى حرثهم، حتى لا يزدروا بها او يظنوا ان طبقتهم هى ادنى من طبقة العلماء، وكان يقول لهم: "يكفيكم من الدين حسن النية والقيام بالفرائض الشرعية، وليس عليكم ان تفضل منكم" واحيانا يدمج نفسه بين اهل الحرث، ويقول لهم وهو يشتغل معهم "يظن اهل الاوريقات والسبيحات انهم يبذون عند الله والله ما يبذونا" يريد باهل الاوريقات العلماء، وباهل السبيحات العابدين والفانتين فكانه يريد ان يقول المحترفين والصناع لا تظنوا انكم دون العلماء والزهاد مقاما، بمجرد كونكم صناعا وعملة، وكونهم علماء وقراء، هذا يزيدهم رغبة وشوقا، ويعلم الناس حرمة الصناعة التى للمدنية الابهاء.

هذه الطريقة عليه لا تعتمد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل والسير فهى تجمع بين الاصل الشرعى بحذافيره والتجرد الصوفى الى اقصى درجاته، وتنتظم بين الظاهر والباطن، نظام الزيتونة ذهب اليه غيرها[٣]، ويظهر ان مؤسسى هذه الطريقة السيد محمد بن على بن السنوسى، وولده السيد المهدى، والسيد الشريف، وكبار

---

(١) باسم واحد. (٢) لعله يقصد بعض المتصوفين الصدر الاول فقد ورد السيد الامام احمد عن عبادات العارفين امام الطريقة واعمالها مدين وتحبس حكومة شرعية على عهد المصدر ودينه وعينه مولانا اسمعيل الشهيد الدهلوى

اعوانهم مثل سيدى احمد الريفى ، وسيدى عمران بن بركة وسيدى احمد التوانى وسيدى عبد الرحيم بن احمد وسيدى عبد العالى وسيدى ابى القاسم العياشى وغيرهم كانوا على اخلاق عظيمة ومدارك سامية ، تدل عليها اقوالهم وافعالهم ، حدث شيخى سيدى احمد الشريف ان عمه الاستاذ المهدى كان يقول له : "لا تحقرن احدا ، لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا ، لعله يكون فى نفسه عند الله افضل منك ، اذا انت لا تدرى ما ذا تكون خاتمته" . وبمثل هذه الآداب كانوا يأخذون اولادهم ومريديهم ، فكان من هؤلاء اقطاب وابطال يتجمل التاريخ بذكرهم ، وواسطة عقدهم اليوم هو السيد احمد الشريف الذى نحن فى ترجمته

وقد ذرّف[1] السيد المشار اليه على الخمسين ولكن هيئته لا تدل على وصوله الى هذه السن . لندورة الشيب فى شعره ، وهو رائع المنظر بهى الطلعة ، عديل الجسم قوى البنية ، لا يمكن ان يراه احد بدون ان يجلّه ويحترمه[2] .

---

(١) اولف وزاد

(٢) ضخم الجسم

(٣) ولد سيدى احمد الشريف السنوسى فى المدينة المنورة فى منتصف ذى القعدة سنة ١٢٥٣ هـ

المُرضِع

للدكتور طه حسين(١)

اقبل المراضع الى مكة عجافا خفافا، تحملهن حمر عجاف غفاف، ويصحبهن ازواجهن قد سهم الضر، واعياهم الكسب، واشتدت عليهم السنة، وجدبت بهم الارض، فما يجدون الى المأمن ولا دعة ولا حياة سبيلا، وقد اقبلوا كذأب اهل البادية الى مكة، يلتمسون الرضعاء من ابناء السادة والمترفين فى قريش، ويبتغون بذلك فضلا من مال ونافلة من نعيم وحظا من هذا البر الذى تطمع فيه المراضع عند اهل الرضعاء، فلما القوا رحالهم، اخذوا المراضع الى مكة يعرضن انفسهن على دور الاغنياء واهل الثراء، ومنازل السادة واصحاب الشرف من اهل البطحاء و اسرع ازواجهن الى المسجد يطوفون ويلقون سراة الناس من قريش، فيمحصون منهم ويتفقدون اليهم، ويستعينون بهم على احتمال اثقال الحياة فى تلك البادية النائية بادية بنى سعد بن بكر، وما هى الا طوفة فى الضحى على بعض المنازل والدور حتى آب المراضع موفورات محبورات(٢)، قد وجدت كل واحدة منهن رضيعا من اسرة كريمة موسرة، فامتلأت يدها بالمال، ونفسها بالامل، وقلبها بالغبطة والامن على

---

(١) صاحب اسلوب بديع جميل فتان يجمع بين جمال العربية القديم وابداع العصر الجديد دقيق اللفظ ... حسن الاختيار واسع الحيلة فى الرواية شغوف بالتجديد وفى التاريخ مصور فنان وفى الابحاث العلمية مسطر متعمل

(٢) مجبورات الحابه عنه منت وذهب عنها

(٣) مسرورات مشتغلات

قوت العيال ، الاحليمة بنت ابى ذؤيب ؛ فانها عادت الى زوجها كئيبة محزونة لاتحمل الا ابنها الهزيل النحيل الذى يصيح فى غير انقطاع ، ويبكى فى غير هدوء لشدة ما مسه من المر الظمأ والجوع ،

ولقى الاعرابى امرأته الشابة محزونا مثلها ، كئيبا مثلها ، لا يؤذيه ما يحس من الجوع والظمأ كما يؤذيه ما يسمع ويرى من بكاء الطفل وترجع أمه الباسلة ، قال ، إنى لارى أترابك من المراضع يرجعن موفورات محبورات يحملن الرضعاء ، فما بالك تعودين لاتحملين رضيعا الا هذا الطفل ؟ العلك قد دللت الناس على مكاننا من البوس وحظنا من الفاقة حين احتملت هذا الطفل الذى لا ينقطع له صياح ؟ العلك قد يأست الامهات واخذت الآباء ، الا يلقى ابنا ؤهم عندك ما يرويهم من ظمأ أو يشبعهم من جوع ؛ ليتنى لم اغدو مع الناس الى المسجد ، وليتنى بقيت هنا احفظ عليك هذا الطفل حتى لا يسمع الامهات والاباء له بكاء ولا شكاء ، وحتى لا يرى الآباء والامهات عليه بؤسا ولا ضرا . قالت ، والله ما صددنى الا ابوه والامهات ولقد اسكتُّ هذا الطفل فما بكى ولا شكا ، وما أحس احدا علق ولا عليه ضرا أو شرا ، وانما صددت أناعن رضيع صد وعنه الاتراب من قبل ، قال الاعرابى ، وليم صددتِ عنه واجتنبتِ لبنك له ؟ قالت ، يتيم ليس له أب يرعاه ويكلؤه ، انما هو الى أمه وجده وما تصنع امه وما يصنع جده ؟ وماذا تنتظر من بر الامهات بالمراضع ، ومن بر الجدود بالحفدة والصغار لكثير ؟ قال ، صدقت ، وما الارضاع اليتامى والمساكين اقبلنا من ديار

---

(١) بَذَّه بَذًّا (من نصر) صرفه وصدعه وصد نفسه ويصد (من ضرب ونصر ايضا) اعرض ومال

بني سعد ، و إني لأجد في نفسي إشفاقا على هذا اليتيم ورحمة له ، ولكن ما فاضع به في تلك الأحداث الدائبة إذا لم يصل اليه واليتامى من أهله ما يقيمه ويقيمنا ويصلح من حاله ومن حالنا :-

قالت : لقد رأيته فأحببته ، ونظرت اليه فرقت له ، ولقد آنست من امه دعة ولينا ولقد نازعتني نفسي إلى ان احمله لولا اني اشفقت مما تقول ، ولولا اني ذكرت الجدب وشدته والسنة وانقطاع المادة ، واشفقت عليه مما نخشى فيه ، قال الاعرابي : فستقفل إفاكما قبلنا ويقفل القوم راضين ، واني والله يا ابنة ابي ذؤيب ما ادري اتبلغنا اتامنا وشارفنا[1] ديار بني سعد ، ولكنك لتعلمين ان اتامنا منهوكة مكدودة وان شارفنا ما تبض[2] قطرة من لبن ، قالت : فلنعم فان الاطفال يولدون ، ولعل الله ان يرزقنا بين اليوم وغد رضيعا نجد عند أهله ما يرضينا ،

وهي المراضع بالقفول ، واخذت بنت ابي ذؤيب تنظر اليهن محزونة مكلومة يوذيها ما ترى من انجاحهن واخفاقها ومن قفولهن وتخلفها ، واخذ الاعرابي ينظر الى رفاقه يشدون الرحال على المطايا ، ويحملون النساء على الاتن ، فيؤذيه ذلك ويضيقه ، ولكنه يخفي ما يجد من الغيظ ويظهر التجلد والصبر - حتى اذا مضى اليوم وامضوا في الطريق وبعدوا عن مرمى العين ، نظر الرجل الى امرأته ، ونظرت المرأة الى زوجها ، ونظر الزوجان الى ابنهما واستعبرا بكاءه ، واذا هي تقول لزوجها : ما ادري اعلى لم أحسن حين جاريت أترابي واعرضت عن هذا اليتيم ، وان نفسي لتنازعني اليه ، وان قلبي ليعطفني عليه ، واني لأجشّ كأنه يدعوني ، واني لا شعر كاني لا استطيع

---

(١) الشارف من النوق المسنة الهرمة (٢) يبض الماء سال قليلا قليلا

عنه صبرا، وانى لأرجو ان استجبت لهذا الدعاء الخفى ان يكون الله قد قدر لنا خيرا، و
آثرنا ببعض ما نحب . قال : فلا عليك يا ابنة ابى ذؤيب ! اذهبى الى بيتك فخذيه
فانى احذره ان يرحل القوم وشيكا . وان عبد الله الى ديار بنى سعد فيتحدث الراضع عن قتلتى
والرضاع وان يفوتنى الآباء والامهات . وما صرفت عنك وزهدت فيك

وتنهض بنت ابى ذؤيب فتعود الى آمنة فتعرض عليها إرضاع الطفل، واذا
آمنة تأبى وقد آفاها ما رأت من مراعز الراضع وانصرافهن، وعلى وجهها آيات حزن
عميق، وفى صوتها بقية من بكاء، وأمنها بكية حبسها على الإباء وحثرضها على الامتناع، ولكن
ابنة أبى ذؤيب تنظر الى الطفل فاذا قلبها يمتلئ حبا له . واذا هى تحس اغماء مدفوعة اليه
دفعا، واذا هى ترنو الى الطفل فترفعه بين يديها وتدنيه من صدرها، واذا الطفل يلتمس
الثدى كأنما كان منه على ميعاد . واذا هو وثيب حتى يروى، واذا بنت ابى ذؤيب تجد من
اللبن ما لم تكن تجد من قبل، واذا آمنة تستجيب لها كيف تابى عليها ! وقد رأت
من جهد الطفل، ومن اقبال الطفل عليها، ومن ارضاعها له ما رأت ! لقد اصبحت هذه
الظئر له اما، قالت آمنة، خذيه ولا ترعى، فانى لارجو الآجرى منه الاخير، فلقد حملته
ما وجدت له ثقلا، ولقد انتظرته تسعة اشهر فما أحسست ما تحس النساء قليلا ولا كثيرا
ولولا غاشية الحزن التى غشيتنا بفقد أبيه لكانت هذه الاشهر اسعد ما تنتظر به امرأة من
حملها، ولكن الحوادث عقدت بالخطوب تلوح والآمال تقطع وقد كان يرجى ان تتصل
والنصب تتراكم فتحجب ضوء الشمس، ولقد وضعت هذا الصبى، فما عرت صاحباتى
على وعليه شيئا مما تعودت ان يعرين على الامهات والولدان، وانك لتتكرين يا ظئر لو
ابصرتين، قالت حليمة : وماذا اصبح وماذا انكر؟ قالت آمنة : لم أكن تلك الليلة فى دارى

دور قريش، وانما كانت فى مكان لم يبالغه الناس : كنت فى بحر من النور كله بهجة وبرّ وسرور، ومالك لا تنكرين هذا يا ظبى وقد أنكرته وأنكرته صواحبى ! ومالك لا تعجبين يا ظبى وقد عجبت وعجبت صواحبى وعجب جده الشيخ، سلى حاضنته هذه تنبئك بما رأت وما سمعت، سلى من شئت من نساء بنى هاشم ورجالهم تعلمى ان لا بنى هذا اليتيم شأنا ليس لمن هو من ابناء الاغنياء واهل اليسار، لا ترامى يا ظبى، فانك تحملين وليدا كريما لأب كريم وجدّ كريم، ثم اغلّ من عينيها دمع غزار وقالت فى صوت تتقطعه البكاء لا تبأسى يا ظبى فان سعد قد اعلى قدحه سيصل البك، وهب قليل خير من كثير، قالت حليمة : وقد رق قلبها، وجادت عينها بعض الدمع على عبرة الاعرابيات، لا بأس عليك يا ابنة وهب، فانى والله ما استطعت صبرا عن هذا الصبى منذ رأيته، وانى والله ما ادرى ما الذى عطفنى عليه حتى رجعت اليك آخذه منك، وقد كنت استطيع القفول، وقد كنت استطيع المكث فى بلد كهذا يوما او اياما فالاطفال يولدون، وسراة قريش فى حاجة الى المراضع كل يوم، ولكنه والله امر يراد، وانصرفت حليمة بابنها الجديد راضية مسرورة، قانعة بما رزقها به آمنة من البر والعروف، حتى اذا انتهت الى زوجها الاعرابى لقيها باسم الثغر، مشرق الوجه، سعيد الاتعود اليه صغار البدن، ولم يكد ينخر الى الطفل حتى انطلق لسانه، واذا هو يقول لامرأته : إيه يا ابنة ابى ذؤيب ! ما رأيت كاليوم ولا جاءنا فيما مضى من البشر، إنى والله لارجو ان يكون لنا من هذا الغلام خير، و يضع الاعرابى إلى شارفه يلتمس فى ضرعها الجافّ قطرات من لبن يبل بها ظمأ امرأته وينقع بها بعض غلته، فما اسرع ما يأخذه عجب لا ينقضى حين يرى شارفه حافلة تمخة من اللبن ما يريدون وما تريد امرأته، وفوق ما يريد وما تريد امرأته، وينظر الاعرابى

فاذا ابنه الاول يجد عنده ما يرويه ويرضيه، واذا وجهه الكالح المظلم قد اخذ يشرق ويضيء واذا ابتسامة حلوة ظاهرة قد ارتسمت على ثغره البريء واذا هو يقول لامرأته تعلمي يا ابنة ابي ذؤيب اذك قد حققت نسمة "مباركة"

وتنهض الظئر الى اثاثها فتركبها وتضع الرضيع بين يديها، وتنهض الاعرابي الى شارفه فيمتطيها ويرميان بنفسهما في الطريق يلتمسان الركب من بني سعد، والركب بعيد قد دفع به في طريق طويلة نائية، ولكن الاعرابية تجد من أثاثها نشاطا وجدة، ولكن الاعرابي يجد من شارفه قوة ومرحا، وهما يضيان ويكادان تطويان لهما الارض طيا، ثم يقول الاعرابي لامرأته: مذ تحينك يا ابنة أبي ذؤيب أترين شيئا؟ فالت: إي والله، اني لارى سوادا ما هو بانسان ولا دابة من مربى الجبل، وما هي الا ان يبلغ الاعرابي جماعة بني سعد، فيعجب النساء بأم حليمة وقد ادركتهم في عسر جدب ولا كد، والامد بعيد، والطريق شاقة، ويسأل النساء حليمة عن هذا الرضيع الذي غنمته، فاذا انسأتهن بنبئه أظهرن لها الرقة والرثاء، واضمرن التيه والكبرياء، ويمضي الركب آخذا أطراف الحديث وإن حليمة لتتسق انباءها حتى تبيهن، وان اثاثها ليقلن لها: اهذه اتانك يا ابنة ابي ذؤيب التي أقبلت بك إلى مكة؟ فتقول: هي والله اتاني ما غيرتها، فيقلن: اربعي[1] علينا يا ابنة ابي ذؤيب، فما رأينا كاليوم مرحا ولا اعدادا.

ويبلغ الركب ديار بني سعد وشيوب[2] المراضع الى بيوتهن ويستأنفن حياة اهل البادية في ارض مجدبة قل فيها الرعي[3] والماء وكثر فيها البؤس والشقاء، وعند حليمة ترعى كما ترعى

---

(١) اتعبي (٢) الاتان (٣) ارعى بادهتوى طيبا (٤) يرجع (٥) بالكسر الكلأ

الغنم، ولكنها تروح ملاء حفلا لا يظمأ اصحابها ولا يجوعون، وتروح غنم السعديين مهزولة خميصة ناضبة[1] لا تكاد تبض بما يبل الريق، وهم يقودون لرعاتهم: ويلكم! إرعوا حيث ترعى غنم ابنة أبي ذؤيب، فيقول الرعاة: والله انا لنرعى حيث ترعى، وانها والله لاتجد اكثر مما نجد، ولكنها تروح ملاء وتروح بضمنا كما ترون، لا تفتقر من ظمأ ولا جوع، فيقولون إن لابنة أبي ذويب لشأنا وتنعم حليمة وينعم أبناؤها في حياة رضية هادئة، وينمو رضيعها ويزكو، وتقضي هذه الأسرة عامين راضيين لا تعرف فيهما مشقة ولا جهدا. ولا تجد فيهما ألما ولا سقما، وانهما أيام وليال تطرد بعضها في إثر بعض لا كد فيها ولا تنغيص حتى إذا آن للرضيع ان يثوب الى امه نظرت حليمة وزوجها فاذا الطفل قد نما وزكا كأحسن ما ينمو الاطفال ويزكون، لم يكد يتم الثانية وكأنه ابن اربع والقوم عليه حراص، ولكنهم يعيدونه على ذلك الى امه كارهين، ثم تحثهم حليمة ان يرجعوه وقد ارضت آمنة وعبد المطلب، ارضتها آمنة وعبد المطلب، ولكنها لا تستطيع فراق الطفل حبا له، وحدبا عليه، ورغبة في استبقاء ما وجدت في اصطحابه من خير، فتلح على آمنة في أن تردده معها الى البادية، هناك حيث الهواء النقي، والسماء الصافية، والحياة الهادئة البريئة، هناك حيث لا مرض ولا وباء ولا فساد، ويجيبها آمنة الى ما ارادت وقد آثرت الطفل على نفسها، وضحت بلذة الامومة في سبيل تنشئة ابنها تنشئة صالحة، وهل عرفت آمنة إلا التضحية؟ وتمضي حليمة بالصبي راضية، وتبقى آمنة في ملكة محزونة، وتنظر بركة إلى حليمة نظرات فيها الحسد، وتنظر بركة إلى آمنة نظرات فيها اللوم[2]

---

(١) ناشفة غائرة

(٢) على هامش السيرة للدكتور طه حسين

اختلاف انظار المسلمين في الاسلام والقرآن

للاستاذ احمد امين (١)

ومسألة أخرى كبيرة الاهمية في عصرنا الذي نورخه "تلك هي ان تصور كثير من المسلمين للاسلام في ذلك العصر يختلف عن تصورات المسلمين له في العصور الاولى فحياة العرب الساذجة البسيطة السهلة بعقدت، والديانات المختلفة تسربت، والاعاجم الذين كانوا وثنيين او مانويين (٢) او نحوهم دخلوا في الاسلام ولم تنتق رؤسهم من كل ما علق بها من الديانات القديمة، وقد عاشوا في المدنيات المركبة المعقدة، فنظروا الى الاسلام بعيونهم لا بالعين العربية الاولى، وبحق ما يقال إن الامم ذات العقد ت ينادكل أمة فيختلف نظرها في تفاصيل دينها عن الامم الاخرى وهي تنظر الى الدين من خلال تاريخها وتنظيمها الاجتماعية، من خلال اديانها السابقة ومن خلال لغاتها وتقاليدها ومن خلال ثقافتها وتربيتها، الى غير ذلك، كل المسلمين يعتقدون، "لا اله الا الله محمد رسول الله" ولكن نظر العالم الواسع الثقافة إلى الاسلام غير نظر العامي الجاهل، وكلاهما غير نظر الصوفي

---

(١) احمد امين عالم واسع الثقافة مؤلف جيل الذهب كاتب قدير طبع العلم ديناً وسن اقرانه بحسن الاخلاق و دقة نظره وسداد رأيه وسلامة طبعه الى حد الندرة والغزارة في هذا الجيل وفوق ذلك يفهمه كثير من حقائق الاسلام واصوله وما عراه عن روح الاسلام وحسن سمته الفضلية الاسلامية في كثير من البيئة العلمية والتاريخية خلا المشتغلين العلم ومشتغلين التصوف وبعض المشاهير في عصره ومصره.

(٢) يراجع فجر الاسلام وضحى الاسلام (١ - ٢ - ٣) من خيار ما كتب الفقيد على طلبة العلم رحمه الله مع بحث وتقد لا يقلد مسلم.

(٣) النصر الباسي (٤) اتباع ماني

وهكذا» بل نظر المسلمين من المصريين على وجه العموم، الى الاسلام يختلف في نظرته عن نظر الجنود المسلمين والاتراك المسلمين، لان كلا منهم تتداول عليها من العوامل ما غيرها وذلك من غير شك خالف بين انظارهم وعقلياتهم والناس كانوا ينظرون الى الاسلام نظرا يختلف باختلاف العصور، يعجبني في ذلك ما رواه البخاري والترمذي عن انس بن مالك المتوفى سنة ٩٣ هـ قال: ما اعرف شيئا مما كان على عهد رسول الله صلعم قيل الصلوة! قال ليس صنعتم ما صنعتم فيها فيها" فانس رضي الله عنه قد شاهد عصر النبي ﷺ وعصر الامويين ومع قرب العصرين لاحظ اختلاف النظر والاعمال فكيف اذا شاهد العباسيين ومن بعدهم وقد كان الاسلام سهلا يسيرا يقول رسول الله ﷺ "إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه ويقول لا تشددوا على انفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم" وكان القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا ولا هذا على هذا وكان هناك نزعة لبعض الصحابة في التشدد في الدين، فقد ومها رسول الله ﷺ كما لدى كان بينه وبين عبد الله بن عمرو فقد بلغه انه لا ينام ولا يفطر ولا يؤدي حقوق اهله انهما كانا في العبادة فقال له رسول الله ﷺ يا عبد الله ... رسول الله أسوة حسنة له فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ويؤدي الى اهله حقوقهم يا عبد الله ...

---

(١) ملحق الاعتصام بالسنة (٢) اخرجه ابو داود (٣) العقد الفريد ٥

عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا»

وبعد هذا رأينا تشددا فى دين، وابتداعا لتقاليد، وغلوا فى نواح مختلفة منهم من يلبس الصوف ويلتزمه ومنهم من يغلو فى الانكار على لابسيه. قدم حماد ابن سلمة البصرة، فجاءه فرقد السنجى وعليه ثياب صوف فقال له حماد دع عنك زيّ سلمة[1] وقال ابن المبارك لاصحاب الصوف، والله لئن كان لباسكم ورعا لغيركم اورع منكم فقد احببت ان يطلع الناس عليها، وان كان مخالفا لقد هلكتم، وكان بعض الموالى يتشددون فى الوضوء والطهارة، ويغلو فى ذلك غلوا لا يعرفه العرب، فكان العرب يكرهون منهم ذلك[2] الى كثير من امثال هذا

وهناك ما هو اهم من هذا. ذلك ان الناس فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وبعده كانوا يفهمون القرآن او ليسعون به فيمنون بتفهم روحه، فان خفى عليهم شئ من وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب النزول او استشهاد بابيات من اشعار العرب، تفسر لفظا غريبا، او أسلوبا غامضا. واكثر ما روى لنا فى الطبرى وغيره عن الصحابة فى تفسير القرآن هو من هذا القبيل، وما عرفنا فى العصر الاول اختيار العرب الى مذاهب دينية وآراء فى الملل والنحل، فلما كنا فى آخر العصر الاموى رأينا الكلام فى القدر ورأينا المتكلمين فيه ينظرون الى القرآن من خلال عقيدتهم فمن قال بالجبر اول كل آيات الاختيار ومن قال بالاختيار اول كل آيات الجبر وسال بعد ذلك السيل فى العصر العباسى فصارت كل طائفة

---

(١) العقد ١، ٢٥٠

(٢) انظر العقد ٢: ٩١

واصحاب كل مذهب ينظرون اليه من خلال مذاهبهم ولئن كان هذا النظر فادحا من ناحية الجدال بين المسلمين وغيرهم والدعوة الى الاسلام كما بينت في موقف المعتزلة ! فقد أساء باضعاف الروح الدينية وما كانت توحيه من احياء القلب، اصبح علماء الكلام والمذاهب الدينية :

. . . ينظرون الى القرآن من خلال الفلسفة اليونانية، وذلك إن كان فيه مران عقلي وتوسيع لبعض مناحي الفكر، ففيه اضعاف لقوة الروح و حاسة القلب سواء في ذلك المعتزلة والاشعرية والماتريدية فكلهم استخدموا الادلة اليونانية في العقائد الدينية وهي غير الطريقة التي نحاها القرآن الكريم في الدعوة الى الدين، لقد كادوا بعملهم هذا يقطعون الصلة بين العقل والقلب ويقوون الناحية العقلية على حساب قوة العاطفة[1] ان شئت فاقرأ لاثبات قدرة الله قوله تعالى :

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝

ثم اقرأ في كتب علم الكلام الجدل بين الاشعرية والماتريدية في ان القدرة صفة ازلية تتعلق وقت الارادة بمعنى صحة صدور الاثر والتمكن من

---

[1] على حساب القوة العاطفة يعني بضعفها فكلما ضعفت الناحية العقلية ضعفت العاطفة

... كما يقول الماتريدية او هي صفة توثر في المقدورات عند تعلقها بها كما يقول الاشاعرة فكم من الفرق بين المتكلمين والروحيين! اهم غرض للقرآن الكريم ان يجيء الشعور ببيان علاقة الانسان القوية بالله والعالم، وان يعمل على ذلك تبعية الحياة الروحية اما المتكلمون فارادوا ان يصلوا الى ذلك من ... طريق المنطق وشتان بين الطريقين! فحياة المنطق لا تملأ القلب حماسة ولا تبعث في النفس حرارة ايمان، انما تفعل ذلك الحياة الروحية

لقد كثرت المذاهب والنحل في ذلك العصر كثرة مدهشة حتى يصفهم الماسون فيقول: "وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسا، اعتقد به رياسة تدله يدعو فئة الى ضرب من البدعة، ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الامر الذي عقد به رياسة يدعو ويشيط بدمه. وهو قد خالفه من امر الدين بما هو اعظم من ذلك. الا ان ذلك امر لا رياسة له فيه فما له عليه" الخ

ونستعرض اسماء الفرق والمذاهب في كتاب الملل والنحل للشهرستاني، فندهش لكثرتها واختلافاتها. وهذه كلها كانت تنظر الى القرآن الكريم بعين مذهبها وتفسره بما يلائمه فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه في الاختيار والصفات والحسن والتقبيح العقليين ويؤول ما لا يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعي وذلك بحسب كل الاختلاف عن نظر المسلمين الاولين الى القرآن.

كان القرآن يدعو الى الايمان من طريقين: طريق النظر الى العالم نفسه وطريق التاريخ، فهو يريد ان نظر الانسان الى العالم يدعم إيمانه ويقوي يقينه

ذفى الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض ، والابل كيف خلقت . والسما كيف رفعت والجبال كيف نصبت ، والارض كيف سطحت آيات على الله ، كما ان فى الاحاديث التاريخية عن الانبياء واممهم ما يدعوا الى الايمان ، وهذا النظر يناسب الناس على اختلافهم ، ففى استطاعة العالم والجاهل ان ينال الايمان من هذا الطريق ، والدعوة الى الحياة الروحية وحدها هى الدعوة التى يمكن ان توجه الى الناس كافة فلما اولع العلماء بالفلسفة اليونانية فى العصر العباسى حولوا اتجاه القرآن على النحو الذى يدرسون به الحساب والهندسة والهيئة ، فكان فى ذلك اضرار بالدين من ناحيته القلبية ونتج عن ذلك تعقيد العقيدة الاسلامية السهلة السمحة . حتى صار يمثلها تاليف المتكلمين من معتزلة واشعرية واصبح اخيرا يمثلها « العقائد النسفية » و« متن السنوسيه وشرحه » الذى قوم من الصوفية المخلصين قد عوا الى الاسلام من منهجه الاول ، ولكن سرعان ما تحول بعضهم ايضاً الى الفلسفة يستمد منها كما سنبينه انشاء الله .

وكان كلما تعمق المسلمون فى العلوم والفلسفة نظروا الى القرآن من خلالها فاذا اتت آية فى الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل اليه علمهم فى الظواهر الجوية واذا اتت آية فى النجوم والسماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة واذا اتت اشارة فى آية الى جبر او اختيار عددوا مذاهب المتكلمين فيها واذا اتت . . ألة نحوية افاضوا فى الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين ، وعلى الجملة فقد كان سواكل ما عرفوا من علوم حول الآيات القرآنية . تنضم ذلك على دوالى

الازمان، كما ترى بعد فى تفسير الفخر الرازى، ففيه كل شئ وصل اليه المسلمون الا شيئا واحدا هو شرح روح القرآن"[1]

---

[1] ضحى الاسلام ج ١

اعتذار

ان الهند الاسلامية حلقة ذهبية فى سلسلة العالم الاسلامى ومدرسة خاصة فى تاريخ العلوم الاسلامية والآداب العربية لايكمل اى تاريخ للعلوم الاسلامية والآداب العربية يؤلف فى مصر او الشام او العراق اذا اهملها واغفل بحثها ، وكان فى النية ان نعرض مع ادباء العرب مثلا ونخبا من كتابة بعض ادباء الهند لهذا العصر وبخومها الطالعة خصوصا المؤرخ الشهير والناقد البصير الاستاذ شبلى النعمانى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ والمؤلف الكبير والكاتب المترسل الاستاذ السيد عبد الحى الحسنى المتوفى سنة ١٣٤١ هـ صاحب جنة المشرق وعوارف المعارف فى انواع العلوم والمعارف ونزهة الخواطر فى ثمانية مجلدات والعالم الراسخ والاديب المتقن الاستاذ حميد الدين الفراهى صاحب كتب قيمة فى التفسير والبلاغة المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ والاديب الضليع والعالم النابغ الاستاذ السيد سليمان الندوى واللغوى المدقق والمؤرخ المحقق الاستاذ عبد العزيز الميمنى وفقيد اللغة والادب الاستاذ الحجة ابو عبد الله محمد السورتى المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ورائد النهضة الادبية فى الهند ورسول الاصلاح فى تعليم اللغة العربية الاديب الكامل الاستاذ الشيخ تقى الدين الهلالى رئيس اساتذة آداب اللغة العربية فى دار العلوم التابعة لندوة العلماء سابقا ، وحامل لواء العربية فى الهند المعلم الكامل الاستاذ الشيخ خليل بن محمد . والصحافى البارع والكاتب القدير الاستاذ مسعود عالم الندوى صاحب مجلة الضياء العربية ،

ولكن الاستعجال واضطراب الاحوال لاجل الحرب قد حال دون ذلك وعسى ان نوفق له فى المستقبل والله ولى التوفيق

DUP—128—10-4-66—1AR—R—۸۹۲۷۷
آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائیگا۔